جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة

قسم التاريخ

الموضوع

الوجود المالكي في الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع هجري
500 – 699 هـ الموافق لـ 1106 – 1299 م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر
في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:
مريـقي فاطمة الزهراء

تحت إشراف الأستاذ:
د/ رمضاني فوزي

السنة الجامعية: 2018/2017

شكر وعرفان

يسعدني أن أتقدم بخالص شكري وعرفاني إلى :

والدي الكريم الذي رافقني طيلة فترة دراستي وإعدادي لمذكرتي

أطال الله في عمره وجعله منارة خير يهتدي بها كل طالب علم

إلى أستاذي الفاضل فوزي رمضاني الذي ساعدني

كثيرا في إتمام مذكرتي

والشكر موصول إلى جميع أساتذة قسم التاريخ

و أعوان المكتبة بجامعة عمار ثليجي بالأغواط

إهـــــداء

إلى أعز ما أملك في الدنيا عائلتي الكريمة

إلى أمي وأبي نبع الصدق والعطاء والحنان

إلى إخوتي أنوار المحبة

إلى أختي الغالية عربون الوفاء والإخلاص

إلى أقاربي ... أحبابي ... أصدقائي ...

إلى أساتذتي الكرام رفع الله قدرهم و نفع الأمة بعلمهم وعملهم

أهدي ثمرة جهدي المتواضع ...

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، و نستعينه و نستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، و اشهد أن لا اله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

المذهب المالكي هو احد المذاهب السنية الأربعة نشأ على يد الإمام مالك رحمه الله في المدينة المنورة في القرن الثاني الهجري، ويتمثل منهجه في الاعتماد على القران الكريم، ثم حديث رسول الله صلى الله عليه، فسنة أهل المدينة المنورة، و تعتبر المدرسة المالكية المصرية المدرسة الثانية من حيث الزمن بعد مدرسة المدينة المنورة، التي ظهر بها المذهب المالكي كما جاء في : المدارك"و أما ارض مصر فهي أول أرض انتشر بها مذهب مالك بعد المدينة المنورة، و غلب عليها، و أطبق أهلها على الاقتداء به، إلى أن قدم عليهم الشافعي، و قد عرفت مصر ثلاثة عهود خلال القرنين السادس و السابع الهجريين(500هـ/699هـ)،العهد الفاطمي فالأيوبي ثم المماليكي.

و يتناول البحث موضوع الوجود المالكي بالإسكندرية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، وترمي هذه الدراسة إلى إبراز دور علماء المالكية في إثراء الحياة الفكرية والعلمية في الإسكندرية من خلال المؤسسات العلمية التي أنشأوها و المصنفات العلمية التي أنجزوها، و فقه السنة النبوية الصحيحة التي أشاعوها في ظل عهدين الأيوبيين و المماليك الذين كانوا ركنا رئيسا في الذود عن حمى الدين و رفع الغبن عن المذاهب السنية التي عانت ردحا من الزمن من الاضطهاد الشيعي العبيدي، و ساهمت في إشاعة أجواء الحرية الفكرية في ظل الكتاب و السنة و يمكن أن أجمل الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع في الآتي:

- إبراز التراث العلمي لعلماء المالكية بالإسكندرية خلال فترة الدراسة لموضوع بحثنا عموما و إثراء الفقه المالكي على وجه الخصوص، ناهيك عن ان هذا الموضوع لم يحظ بالعناية الكافية دراسة و تحليلا.

-التعريف بعلماء المالكية الذين ساهموا مساهمة فعالة في إذكاء روح الحياة الفكرية و العلمية تعليما و تأليفا في مختلف المجالات في الفقه والحديث و علوم القران و اللغة و الأدب و التاريخ و الفلك و غيرها من فنون العلم التي كانت سائدة في عهدهم، و كانت الإسكندرية مركز هذا الإشعاع العلمي و همزة وصل بين المشرق و المغرب الإسلاميين.

-ندرة الدراسات التاريخية لعلماء المالكية الإسكندرية خلال هذه الفترة رغم أنها كانت حافلة بحركة علمية رائدة تعكسها المصنفات المالكية خلال حقبة الدراسة.

و تجدر الإشارة إلى أنني رغم جهد مُضن في البحث و الاستقصاء لم أجد دراسات متخصصة في الحياة الفكرية و العلمية لعلماء المالكية في الإسكندرية خلال حقبة الدراسة عدا ثلاث رسائل و هي:

01-المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني.

02-الحياة العلمية في الإسكندرية خلال العصر المملوكي.

03-دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي.

و يندرج البحث تحت الإشكال التالي:

هل كان للوجود المالكي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين أثر على مظاهر الحياة الفكرية بالإسكندرية؟ و تتمثل فروع الإشكالية في طرح التساؤلات التالية:

01-هل كان للمالكية مؤسسات خاصة بهم على المذهب المالكي؟

02-ما مظاهر النشاط العلمي لعلماء المالكية؟

03-هل كان للمالكية إنتاج علمي خاص بهم؟

و لمعالجة الإشكالية المطروحة و الإجابة على فروعها اعتمدت المنهج الوصفي أولا ثم التحليلي المقارن ثانيا، حيث جمعت الحقائق التاريخية المتعلقة بالمالكية ثم قمت بتصنيفها وتحليلها تحليلا تاريخيا، و قمت بدراسة حقائق أخرى ثم تركيبها، و خلصت إلى عرض النتائج المتوصل إليها كما اتبعت المنهج الإحصائي، من خلال إحصاء العلماء المالكية، حيث أن الدراسة تتمحور حول هذه الفئة و الوقوف على أعمالهم، و تجلية تراثهم العلمي و المراكز و المؤسسات العلمية الخاصة بهم أو التي شاركهم فيها غيرهم من المذاهب الأخرى.

و نُشدانا لبلوغ الأهداف المتوخاة من تناول هذا الموضوع فقد انتهجت خطة عمل تضمت فصلا تمهيدا و ثلاثة فصول:

الفصل التمهيدي تحت عنوان : المالكية و آفاق انتشارها قبيل القرنين السادس و السابع الهجريين، و عرجت في المبحث الأول لترجمة الإمام مالك، و المبحث الثاني تحدثت فيه بإسهاب عن الدراسة المصرية، و المبحث الثالث لخصائص و مميزات هذه المدرسة.

الفصل الأول فجاء تحت عنوان :أوضاع الإسكندرية خلال فترة البحث (500هـ-699هـ)، درست فيه بشكل موجز أوضاع الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين.

الفصل الثاني: المؤسسات العلمية في الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين و أحصيت فيه المؤسسات العلمية و قسمته إلى ثلاثة مباحث خصصت كل مبحث للحديث عن كل مؤسسة من المؤسسات العلمية، على النحو التالي، الأول لدراسة المساجد و الجوامع المالكية و الثاني لدراسة المدارس و المكتبات، و الثالث لدراسة الأربطة والزوايا.

الفصل الثالث: تناولت فيه التراث المالكي العلمي و عنونته مصنفات علماء المالكية في الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين، تضمن أربعة مباحث: خصصت المبحث الأول لتوضيح منهج علماء المالكية في التأليف في الإسكندرية خلال العصر الأيوبي، و المبحث الثاني

أفردته للحديث عن مصنفات علماء المالكية في علوم القران و الفقه و الحديث، و المبحث الثالث لمصنفاتهم في اللغة و الأدب، و المبحث الرابع رصدت فيه مصنفات المالكية في التاريخ و أصول الدين و المبحث الخامس قمت فيه بتحليل لنموذج من مصنفات المالكية.

و ختمت البحث بخلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها ثم ألحقت بقائمة المصادر و المراجع و فهرس للمحتويات، و استقصيت المادة التاريخية من مصادرها الأصلية لا سيما كتب التراجم و الطبقات التي تختص بدراسة سير حياة الأعلام و منجزاتهم في الحياة الفكرية و العلمية كالحكام و العلماء و تاريخ رجال المذهب و كذلك كتب التاريخ، و هي في مجملها تقتضي التمحيص و الاستقراء و الاستنتاج لاستخراج ما يمكن أن يخدم الموضوع، و يمكن تقسيم مصادر الدراسة إلى المجموعات التالية بحسب أهميتها:

01- كتب التراجم و الطبقات: أذكر منها التكملة لوفيات النقلة للمنذري بن عبد القوي (656هـ/1258م) و هو على رأس المصادر التي اعتمدتها في البحث لأنه عاش في الفترة التي تؤرخ لها، و تتلمذ على عدد من علماء المالكية خلال حقبة الدراسة، و من المصادر التي اعتمدتها أيضا كتب شمس الدين الذهبي (748هـ/1347م) و على وجه الخصوص تاريخ الإسلام و كتاب سير أعلام النبلاء، و كتاب تذكرة الحفاظ، بالإضافة إلى كتاب الديباج المذهب لمعرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي(799هـ/1396م)، وكذلك مؤلفات السيوطي أبي الفضل (911هـ/1505م) و التي من بينها بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة.

02- كتب التاريخ العام: أذكر منهم كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، و كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار للمقريزي، و النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة لابن تغرى بردي (874هـ/1470م) و مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل جمال الدين (897هـ/1298م).

03- المراجع الحديثة: و أما عن المراجع المتخصصة فهي قليلة و فيها معلومات عامة و من المراجع التي اعتمدتها مؤلفات كل من الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور و الدكتور جمال الدين الشيال و الدكتور السيد الباز العريني و الدكتور السيد عبد العزيز سالم، و التي أفادتني كثيرا في مبحث المدارس المالكية بالإضافة إلى الكتب التي اهتمت بالمصنفات في الحضارة الإسلامية، ككتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون لحاجي خليفة، و هدية العارفين و أسماء المؤلفين و آثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي و قد استفدت من هذين الكتابين في الفصل الثالث الخاص بمصنفات علماء المالكية.

و لله الحمد و المنة على توفيقه و تسديده و تيسيره سبل البحث، و الله من وراء القصد.

الفصل التمهيدي

المذهب المالكي في الإسكندرية قبيل القرنين السادس و السابع للهجرة

المبحث الأول: ترجمة الإمام مالك:

أولا – نشأته و حياته:

- **اسمه و نسبه و مولده:**
- **حياته العلمية:**
- **شيوخه و تلاميذه:**
- **بعض أقوال العلماء في الثناء عليه:**
- **مؤلفاته و ما نسب إليه:**
- **وفاته:**

ثانيا– المذهب المالكي:

- **نشأة المذهب المالكي و تطوره:**

المبحث الثاني: المدرسة المصرية:

أولا: إطلالة على المدرسة الحجازية:

- **نشأتها:**
- **مميزات المدرسة الحجازية:**
- **أشهر علمائها و مشائخها:**

ثانيا: المدرسة المصرية:

- **نشأتها:**

01– مرحلة النشأة والقوة:

02– مرحلة الضعف:

03– مرحلة العودة والظهور:

– مميزات المدرسة المالكية المصرية:

– أشهر علمائها و مشايخها:

يعد الإمام مالك رحمة الله من الجهابذة الأعلام الذين اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بحياتهم، إذ ينذر كتاب من كتب التراجم إلا وللإمام مالك حظّ وافر فيه، بل إن مجموعة من العلماء ألفوا فيه كتبا خاصة به، تحدثوا فيها عن مولده و نسبه و نشأته، و أخذه للعلم، و أصوله في الاستنباط، ومؤلفاته ورؤاه السياسية ومصادر رزقه وملبسه و خلقه و خُلقه ... إلى غير ذلك[1].

المبحث الأول: ترجمة الإمام مالك:

أولا: نشأته و حياته:

- اسمه و نسبه و مولده:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ابن أبي عامر بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح من حمير حليف لبني تميم بن مرّة من قريش كما هو الصحيح من قول النسابين[2]، ولد في المدينة النبوية سنة 93هـ كما رجح القاضي عياض و الذهبي[3].

- حياته العلمية:

لقد تربى مالك رحمه الله و نشأ في بيئة علمية عريقة فقد كان جده من كبار علماء التابعين الذين أخذوا عن عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله، و عثمان بن عفان، و عائشة رضي الله عنهم، و أبوه أنس من روّاة الحديث و إن لم يكن من المكثرين، و أمّا أمّه العالية بنت شريك الأسدية فيبدو أنها كانت على قدر كبير من العلم، هذا عن بيئته الخاصة، و أما بيئته العامة فهي المدينة المنورة، و قد كانت تعجُّ بالعلماء الذين اتخذوها سكناً، أو مروا بها زيارة و طلباً للعلم و في هذا الجو بدأ مالك رحمه الله نشاطه العلمي و هو ما يزال صغيراً، إلا أنه كان كبيراً في تفكيره و عقله، يدُل لذلك ما وضعه من منهج للتلقي لم يكن لغيره مثله، و يبدوا أنه كان لوالدته أثر كبير في وضع ذلك المنهج إذ يقول مالك:" قلت لأمي أذهب فأكتب العلم، فقالت: اذهب إلى ربيعة

1- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هـ/1149م)،**ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ج01، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، ط 02، المغرب، 1403هـ/1983، ص ص 102-104.

2- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت799هـ/1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج 02، دار التراث العربي، القاهرة، 1972، ص 82.

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ج01، ص 113.

فتعلم من أدبه قبل علمه"و هي بذلك تشير إلى أن العلم إذا لم يكن معه أدب و خلق و سلوك حسن إن لم تكن له قيمة[1].

أ- شيوخه و تلاميذه:

— شيوخه:

تلقى الإمام مالك العلم عن عدد كثير من المشايخ و العلماء و من أبرزهم:

- ربيعة بن عبد الرحمان[2]، و قد أخذ عنه مالك فقه الرأي، الذي يعني عند علماء المدينة، إعمال الرأي في النصوص، جمعاً، أو ترجيحاً، أو نقداً، و قد كان ربيعة رحمه الله بارعاً في هذا الفن، مما جعل مالكاً رحمه الله كلما تذكره يقول:"ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة" كما تأثر كذلك بذوقه و حسن هندامه، و لعل ذلك ممّا عنته أمّه حين قالت له: "فتعلم من أدبه قبل علمه"[3].

- عبد الله بن يزيد بن هرمز[4]، و قد انتقاه مالك لدراسة العقيدة عليه، كما استفاد منه في ورعه في الفتوى و عدم التسرع فيها يقول مالك :" سمعت ابن هرمز يقول، ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول، لا أدري، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عماً لا يدري قال: لا أدري" [5].

- ابن شهاب الزهري[6] و الذي يعتبر بحق من أكثر الحفاظ رواية للحديث في عصره، بالإضافة إلى ما آتاه الله من علم الدراية.

1- محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ/ 2003م، ص 03.

2- **ربيعة بن أبي عبد الرحمن**: هو **ربيعة بن أبي عبد الرحمن** فروخ (ت 136هـ/753م) مفتي و عالم المدينة، أدرك جماعة من الصحابة منهم انس بن مالك، انظر: الشيرازي (ت476هـ/ 1083م) ، **طبقات الفقهاء**، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت، 1970، ص 65.

3- أحمد بن علي بن ثابت بن الخطيب البغدادي (ت 463هـ/1070م)، **تاريخ مدينة السلام (بغداد)**، تح بشار عواد معروف، ج 08، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/2001م، ص 426.

4- **عبد الله بن يزيد بن هرمز**: هو عبد الله بن يزيد بن هرمز، أبو بكر الأصم الليثي، اعترف له أقرانه و تلاميذه بالعلم، خصوصا الفقه، و ذكره البخاري في تاريخه الكبير، و ترجم له ابن حبان في ثقاته و مشاهير علماء الأمصار، انظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص 66.

5- القاضي عياض، **المصدر السابق**، ج01، ص182 .

6- **ابن شهاب الزهري**: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري و كنيه أبو بكر القرشي الزهري، نزيل الشام و اخذ العلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب و أنس بن مالك و غيرهما، وافاه الأجل في ضيعته سنة (224هـ/838م)، و دفن بادامى، انظر:ابن حزم الأندلسي القرطبي (ت456هـ/ 1083م)، **جمهرة انساب العرب**، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م، ص 130.

- جعفر[1] بن محمد الباقر الذي كان إماماً متبحّرا في الفقه كما كان زاهدا ورعا معظّما لسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول مالك: " ... و لقد اختلفت إليه زماناً ... و ما رأيته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلاّ على طهارة ... و كان من العلماء العباد و الزهاد الذين يخشون الله ..."، و قد عـانى مالك رحمه الله و صابر و بذل الغالي و النفيس من اجل اقتطاف ما لدى هؤلاء الجهابذة من ثمار علمية جنية و اتخذ لذلك كل ما أوتي من وسيلة، فقد بذل فيه وقته و ماله، يقول تلميذه ابن القاسم[2]،" أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباعه.

- تلاميذه:

تتلمذ على الإمام مالك و روى عنه الموطأ كثيرون وكان من بينهم شيوخه وأقرانه، وقد صنف الخطيب البغدادي مؤلفا خاصاً بالرواة عن مالك، فعد منهم 993 رجلا، أما القاضي عياض فقد عدّ منهم 1300 رجل، و ذكر المشهورين منهم، و ترجم لهم في ترتيب المدارك و رتبهم على البلدان و البقات و عَّد منهم الذهبي في السّيّر 126 رجلا، وصنف ابن ناصر الدمشقي مؤلفا في رواة الموطأ سماه إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك و عدد الذين ضمنهم في هذا الكتاب 79 و ترجم لكل واحد منهم[3].

و من أشهر تلاميذه الذين تلقوا عنه العلم:

1- محمد بن إدريس الشافعي
2- يحي بن سعيد القطان
3- عبد الله بن مبارك
4- عبد الرحمان بن مهدي
5- عبد الرحمان بن القاسم
6- أشهب بن عبد العزيز
7- وكيع بن الجراح
8- عبد الله بن وهب

1- **جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** (ت 148هـ/765م): كان رحمه الله من سادة أهل البيت وعلماء المدينة، كان مالكا معجبا بسمته، أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/1347م)، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، ج 08، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ص 51.

2- **ابن القاسم**: هو أبو عبد الرحمن بن القاسم العتقي، صاحب مالك، من كبار أصحابه المصريين، منسوب إلى العبيد الذين نزلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من الطائف فجعلهم أحرار، توفي سنة (ت192هـ/807م)، أنظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ج 01، ص 110.

3- ابن ناصر الدين الدمشقي (842هـ/1438م)، **إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك**، تح: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، المكتبة الإسلامية ، القاهرة، 1426هـ/ 2006م، ص 52.

بـ – بعض أقوال العلماء في الثناء عليه:

قال القاضي عياض: ألف في مناقب مالك – رحمه الله – جماعة منهم، القاضي أبو عبد الله التستري المالكي، و أبو الحسن بن فهر المصري، و غيرهم، و قد جمع الحافظ أبو بكر الخطيب كتاباً كبيراً في الرواة عن مالك، و شيء من روايتهم عنه و للحافظ أبي نعيم ترجمة طولى في (الحلية) لمالك[1].

و قال سفيان بن عيينة: مالك علم أهل الحجاز، و هو حجة زمانه، و قال: ما نحن عند مالك، إنما كنا نتبع آثار مالك، و ننظر الشيخ إن كان كتب عنه مالك كتبنا عنه، أما الشافعي فأورد شهادته بقوله: مالك معلمي وعنه أخذت العلم، و قال: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، و قال أيضا: إذا جاءك الحديث عن مالك فشد يدك عليه.

قال الحماد بن سلمة: لو قيل: اختر لأمة محمد صلى الله عليه و سلم إماماً يأخذون عنه دينهم: لا بد من ذلك: لرأيت مالكاً لذلك موضعا، و رأيت ذلك صلاحاً للأمة.، و قال النسائي: أمناء الله على علم رسول اله صلى الله عليه و سلم: شعبة بن الحجاج، و مالك بن انس، و يحي بن سعيد القطان، و قال ابن معيين: لا تبال أن تسأل من رجال مالك، كلّ من حدّث عنه ثقة إلا رجلاً أو رجلين، أما الذهبي فقال: و قد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره: طول العمر علوّ الراية، الذّهن الثاقب، الفهم، سعة العلم، اتفاق الأئمة على انه حجة صحيح الرواية، إجماعهم على دينه و عدالته و إتباعه السنن، تقدمه في الفقه و الفتوى و صحة قواعده، و قالوا عن الإمام ما لو ذهبنا إلى جمعه ما وسعتنا الأقلام و لا تبييض الأوراق بسيرة رجل من أفاضل المسلمين، و قد تناولها بشمول و اتساع الإمام ابن عبد البّر في كتابه " الانتقاء "[2].

عن جعفر بن عبد الله، قال: كنا عند مالك، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله: {الرحمن على العرش استوى}(**طه:05**)، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته فنظر إلى الأرض، و جعل ينكت بعود في يده، حتى علاه الرّحضاء، ثم رفع رأسه، و رمى بالعود، و قال:

1- ابن الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 428.

2- ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (463هـ/ 1071م)، **الإنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ/ 1997م، ص12.

الكيف منه غير معقول و الاستواء منه غير مجهول و الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة و أمر به فأخرج[1].

قال القاضي عياض في سيرة مالك: قال ابن نافع و أشهب و احدهم يزيد على الآخر، قلت: يا أبا عبد الله {وجوه يومئذ ناضرة (22) إلى ربها ناظرة} (القيامة:22-23)، ينظرون إلى الله ؟ قال: نعم، بأعينهم هاتين، قلت: فإن قوماً يقولون: ناظرة: بمعنى منتظرة إلى الثواب، قال: بل تنظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام { ربّ أرني أنظر إليك }(الأعراف:143)، أتراه سأل محالاً ؟ قال الله:{لن تراني} (الأعراف:143) في الدنيا، لأنها دار فناء، فإذا صاروا إلى دار البقاء، نظروا بما يبقى إلى ما يبقى، قال تعالى: {كلاّ إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون} (المطففين:15)[2].

جـ – مؤلفاته و ما نُسب إليه:

الإمام مالك أحد الأئمة الأربعة، الذي ينسب إليه المذهب المالكيّ، و أحد العلماء الذين تتلمذ عليهم كثير من العلماء و المشايخ، و نشروا علمه رحمه الله في كل مكان، و كتبت عنه مسائل كثيرة في الفقه كتبها عنه تلاميذه و جمعوها و نشروها في أماكن كثيرة كـ " المدونة " و"الواضحة " و"العتبية" و"الموازية " وهذه مع شروح " الموطأ " من الكتب المعتمدة في المذهب المالكي، ولكن هذه الكتب لا يقال: إنها مؤلفاته، وإنما هي مسائل سمعت منه، قال الذهبي:"فأمّا ما نقل عنه كبار أصحابه من المسائل والفتاوى، والفوائد، فشيء كثير ومن كنوز ذلك: " المدونة " و" الواضحة "[3].

01- الموطأ: و هو أشهر ما صنف الإمام، و هو المصنف الذي سارت به الركبان، و عول عليه فقهاء الإسلام، وحفظه الجمّ الغفير، و قيل عنه: إنه أصح كتاب بعد كتاب الله قبل الصحيحين[4].

02- المدونة الكبرى: و من أهم كتب الفقه على المذهب المالكي و هي أسئلة و أجوبة عن مسائل الفقه التي وردت للإمام مالك رحمه الله، و رواه عبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف

1- محمد بن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ج 02، دار بن كثير، بيروت، 1406هـ/ 1986، ص ص 12-15.

2- شمس الدين الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، تح: عبد الرحمن بن يحى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1473هـ/1954م، ص 207.

3- محمد المختار محمد المامي، **المذهب المالكي (مدارسه و مؤلفاته)**، مركز زايد للتراث و التاريخ، العين، 1422هـ/2002م، ص 28.

4- محمد أبو زهرة، **مالك (حياته و عصره – أراؤه و فقهه)**، دار الفكر العربي، ط 02، القاهرة، 1947، ص 175.

بـ"سحنون" (240هـ/854م) الذي جمعها و صنفها و رواها عن عبد الرحمان بن القاسم العتقي (191هـ/806م) عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

03- رسالة في القدرية: كتبها إلى بعض الأعيان، و أخرى في بعض المسائل.

04- رسالة في الأقضية: كتبها إلى بعض القضاة[1].

05- كتاب في التفسير لغريب القرآن الكريم: يرويه عنه خالد بن عبد الرحمان المخزومي[2].

06-كتب ومسائل عن مالك رحمه الله: تصل إلى الآلاف من سماع أصحابه العراقيين وهي عند أبي العباس السراج النيسابوري كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي.

7- ينسب إليه كتاب " السّر" قال الحافظ ابن حجر: كتاب السر وقفت عليه في كراسة لطيفة من رواية الحارث بن مسكين عن عبد الرحمان بن القاسم عن مالك، و هو يشتمل على نوادر من المسائل، و فيه كثير ممّا يتعلق بالخلفاء، و لأجل ذلك سمّي "كتاب السر"[3].

8-كتاب " المجالسات و رسالة في الفتوى ".

9- رسالة في علم الفلك : ذكر صاحب كتاب " الأعلام".

10- رسالة في النجوم ومنازل القمر:كتاب مشهور مفيد جدّا اعتمد عليه الناس في هذا الباب و جعلوه أصلاً.

11-كتاب المناسك: قال السيوطي، عن أبي جعفر الأزهري من جلساء مالك: إنه من أكثر كتبه[4].

د – وفـاتــه:

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 02، ص 93.

2- أبو العباس شهاب الدين أحمد القرافي (ت684هـ/1285م)، **الذخيـرة**، تر: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 34.

3- ابن حجر العسقلاني (852هـ/1448م)، **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**،تح: أبو عاصم حسن بن عباس، ج 03، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1416هـ/1995، ص 183.

4- مالك بن أنس (ت 179هـ/795م)، **الموطأ**، تح: بن يحي الليثي الأندلسي، دار بن الجوزي، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص 22.

مات الإمام مالك رحمه الله في يوم الأحد بعد مرض دام 22 يوماً وذلك في شهر ربيع الأول سنة 179هـ في خلافة هارون الرشيد، و كان قد أوصى أن يكفّن في ثياب بيض و أن يصلى عليه في موضع الجنائز إتباعا للسنة و دفن بالبقيع و له يوم مات 86 سنة[1].

ثانيا: المذهب المالكي:

و هو أحد المذاهب الأربعة المعروفة عند أصحاب الديانة الإسلامية من أهل السنة، حيث يتبنون جميعاً الآراء الفقهية التي قدمها الإمام مالك بن انس في هذا المذهب، و يعود تاريخ ظهوره إلى القرن الثاني للهجرة باعتباره أحد المذاهب المستقلة، و يصل إجمالي نسبة المسلمين الذين يتبنونه في شتى أنحاء العالم إلى حوالي ثلث عددهم[2].

– نشأة المذهب المالكي و تطوره:

نشأ المذهب المالكي على يد الإمام مالك رضي الله عنه في المدينة المنورة في القرن الثاني للهجري، و قد بنى أصوله رحمه الله على طريقة أهل المدينة، التي ورثها من شيوخه المدنيين، أمثال ابن شهاب الزهري (ت124هـ) و ربيعة الرأي (ت 143هـ)، و الذين اخذوا بدورهم عن فقهاء المدينة الذين كانوا يمثلون صفوة فقهاء الأمصار في ذلك الوقت[3].

على هذه الأسس إنبنت الطريقة المدنية التي يتمثل منهجها عند الإمام مالك في الاعتماد على القرآن الكريم، ثم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، فسنة أهل المدينة بالإضافة إلى المدينة المنورة التي كانت قاعدة الانتشار المذهب المالكي، فقد انتشر بعد ذلك في مختلف أنحاء الحجاز، ثم انتقل إلى مصر، البلد الأول الذي احتضنه بعد المدينة المنورة و قد شاع المذهب المالكي في مصر شيوعاً كاملاً قبل أن يفد إليها الشافعي، و ذلك على يد تلاميذه الإمام مالك من أمثال عبد الرحمان بن القاسم(ت191هـ) و ابن وهب (ت197هـ) و أشهب (ت204هـ) كما انتشر المذهب المالكي في اليمن، و ظهر في العراق ظهوراً واضحاً و قد دخل بلاد خرسان و فارس

1- أحمد بن محمد بن أبي خلكان (681 هـ/1282م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج 04، دار صادر، بيروت، 1972، ص 138.

2- شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي (ت 954هـ/1546م)، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، ج 01، دار الرضوان، نواكشط، 1431هـ/2010م، ص 64.

3- محمد يحي المختار الولاتي، **إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك**، تح: مراد بوضاية، دار بن حزم، بيروت، 1427هـ/2006م، ص 28.

و ظهر المذهب في الشام على يد أصحاب مالك، و كان المذهب الحنفي هو الغالب على أهل إفريقية و القيروان إلى أن قدم علي بن زياد (ت176هـ/792م) صاحب الرواية المشهورة للموطأ و غيره ممن تتلمذوا على يد الإمام مالك و اخذوا عنه مباشرة، و لم يزل المذهب يتسع و ينشر على يد هؤلاء إلى أن استقر و شاع في تلك الربوع إلى وقتنا هذا[1].

المبحث الثاني: المدرسة المصرية:

أولا: إطلالة على المدرسة الحجازية:

إن مدرسة المدينة المنورة هي المدرسة الأم التي تفرعت منها المدارس الأخرى، باعتبار أنّ الإمام مالك كان مقره و مستقرُّه بالمدينة المنورة، و لم يخرج منها إلا حاجاً، فصارت المصدر و المنبع لباقي المدارس الأخرى كما جاء في المدارك" إذا كان ينبوع هذا المذهب بالمدينة فيها تفجر و منها انتشر فكانت المدينة كلها على ذلك الرأي و خرج منها إلى جهات من الحجاز و اليمن ..." و باعتبار أن المدارس الأخرى أنشئت و تكونت برحيل روادها و طلبتها إلى المدينة المنورة منبع المذهب، و الفقه المالكي، لكن هذا لا يعني إلغاء المدارس الأخرى أو التقليل من قيمتها و مساهماتها الفعالة في بقاء و رسوخ المذهب المالكي شرقاً و غرباً، لكن يبقى لها فضل السبق و الأصل، و لغيرها فضل الفرع و التطوير، و الاجتهاد، و الاستمرارية و الانتشار[2].

- نشأتها:

تعتبر نشأة هذه المدرسة بوجود الصحابة رضوان الله عليهم، فهم الذين شاهدوا الوحي و اغترفوا من منبعه الأصيل: النبي صلى الله عليه و سلم، لذلك تناقل الصحابة فقه المدينة للتابعين و منهم لتابعيهم الذين تلقى منهم مالك فقه المدينة[3]، إذن الإمام مالك هو سليل مدرسة المصطفى صلى الله عليه و سلم بالتوارث و التناقل إلا أن هذا التميز و الانتساب ظهر ببزوغ فجر الإمام مالك في الفتوى، و التصدي لحلق العلم و تتلمذ الطلبة عليه، و على كبار تلاميذه

1- أبو سعيد البراذعي القيرواني (372هـ/983م)، **التهذيب في اختصار المدونة**، محمد أمين الشنقيطي، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، 1423هـ/2002م، ص 06.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص 24.

3- نفسه، ج 01، ص 23.

الإمام مالك الذين كانوا يعقدون حلقاً للفقه و العلم في المسجد النبوي الشريف في ذلك نستطيع أن نقول نشأة المدرسة انبثقت من عاملي أساسيين و هما:

- مكانة الإمام مالك العلمية و هيبته الخُلقية: فقد ورد من بين أقوال تابعيه ما يلي:

أولاً: ما جاء في كتاب ترتيب المدارك، للقاضي عياض، حيث نقل بعض أقوال العلماء في حجية وإمامة الإمام مالك، في باب سماه:" شهادة السلف الصالح و أهل العلم له بالإمامة في العلم بالكتاب و السنة، و التقدم في الفقه و الصدق في الرواية، و تفضيلهم له، و ثناؤهم عليه "[1].

ومما نقله عنهم قول الإمام ابن شهاب، و هو أحد شيوخ الإمام مالك: "أنت من أوعية العلم و إنّك لنعم مستودع العلم"، و قد أورد القاضي في المدارك أقوالاً للإمام سفيان بن عيينة نجمل بعضها في هذه الأقوال عنه:"إنما كنا نتبع آثار مالك" وقوله:"مالك سيد أهل المدينة"، و قوله لما بلغه وفاة الإمام مالك:"ما ترك على الأرض مثله"[2].

ثانياً: و من الأدلة على مكانته ما نقله الإمام ابن فرحون كذلك عن العلماء، في مدحه و إجلاله في كتابه " الديباج" في باب تحت عنوان:"شهادة أهل العلم و الصلاح له بالإمامة في العلم بالكتاب و السنة و تحريمه في العلم و الفتيا و الحديث، و ورعه ..." نذكر منها:

- قال الإمام بن عبد الحكم:" إذا انفرد مالك بقول لم يقله غيره فقوله حجة لأنه إمام".

- قال الإمام أبو داود:"أصح حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، ثم مالك عن الزهري عن سالم عن أبيه، ثم مالك عن أبي الزناد الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه".

و الملاحظ على هذه الشهادات الكبيرة عن علماء و أئمة كبار، قد اتسمت بالتنوع في الجهة و المصدر، فقد جمعت بين المدح في الفقه و الحديث، و الإسناد، و السيادة و الشرف، و الهيبة و الإجلال[3]، أما ما يتعلق بهيبته رضي الله عنه فقد عاصر الدولتين: الأموية و العباسية، و رغم ما لحقه من الأذى إلا انه لم يكن من المتملقين، أو المتقربين للخلفاء و الأمراء، بل كان ممن لا

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص 148.

2- نفسه،، ص 150.

3- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 66.

يخاف في الله لومة لائم، مما أكسبه هيبة و مكانة في قلوب الخلفاء و الأمراء خاصة في مجلس علمه و تدريسه[1].

- كثرة تلاميذة الإمام مالك:

خاصة الذين تحلقوا في المسجد النبوي و هم الذين نشروا مذهبه و فقهه في حياته و بعد مماته، هؤلاء التلامذة من شيوخه، و أقرانه، و أصغر منه، و الذين يربو عددهم عن الألف، كما ورد في الديباج المذهب عن الإمام القاضي عياض، و من هؤلاء نذكر على سبيل المثال: من طبقة الشيوخ و هذا شرف للإمام مالك، بأن يروي عنه شيوخه ممن أخذ عنهم العلم، و هم من التابعين و هذا دليل على اعترافهم بفضله و إمامته فهي تزكية صريحة منهم للإمام مالك بالفضل و سمو المكانة الفقهية و العلمية و من هؤلاء الشيوخ، الإمام ابن شهب الزهري و أيوب بن أبي تميمة السختياني و من طبقة الأقران و هي أيضا تزكية للإمام مالك و من أشهرهم الإمام سفيان بن سعيد الثوري و الإمام الليث بن سعد المصري و الإمام الأوزاعي أبو إسحاق القراري، الإمام محمد بن إدريس الشافعي و الإمام أبو حنيفة النعمان، و أما طبقة الأصاغر و هم الذين جاءوا بعد الطبقة السابقة فنجد منهم الإمام المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي المدني و الإمام عبد الله بن المبارك العراقي[2].

و اللافت أن التلامذة الذين ساهموا في إثراء المدرسة المدنية و نشرها كثيرون، بدليل ما ذكره القاضي عياض من جهة، و بدليل ما صنفه الإمام الشيرازي في كتابه " طبقات الفقهاء" حيث وزّع فقهاء المدرسة المدنية إلى عدة طبقات باعتبار الرؤية و الملازمة و هو نفس الشيء الذي فعله الإمام ابن فرحون في ديباجة بعد ذكر طبقة شيوخ الإمام مالك من الأكابر، و الأقران، و الأصاغر عرج بعد ذلك إلى ذكر طبقات تلاميذه الإمام مالك، مقسما إياهم إلى الطبقات: الأولى و الوسطى و الصغرى[3].

- **مميزات المدرسة الحجازية:**

1- أبو القاسم بن الجلاب (ت 348هـ/959م)، **التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس**، تح: سيد كسروي حسن، مج 01، دار الكتب، بيروت، 1428هـ / 2007م، ص 84.

2- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 79.

3- الشيرازي، المرجع السابق، ص 146.

لما كانت المدرسة المدنية هي أولى المدارس المالكية، و منها انتقل إلى غيرها من الأقطار كان من الطبيعي أن تتميز بميزات تجعلها صالحة للإتباع من جهة، و لتتميز عن فروعها من جهة أخرى، و من هذه المميزات نجد:

01- التزامها بالحديث النبوي الشريف بعد القرآن الكريم، و هي أشهر ميّزة لهذه المدرسة، لذلك اشتهرت كذلك بمدرسة أهل الحديث، و ذلك في مقابلة مدرسة العراق التي اشتهرت بمدرسة أهل الرأي، و هذا المنهج أرسى دعائمه للإمام مالك الذي كان محدثاً بارعاً و ناقداً ثقة متثبتاً، لذلك لم يكن يقدم الرأي على الحديث إلاّ بعد ترجيح و بيان[1].

و كون الإمام مالك كان يعمل بالحديث مباشرة، و يقدمه على الآثار، و ينتقد الرأي، هذا لا يعني أنه لم يأخذ بالرأي أبداً، و إنما قد ثبت أخذه به في مسائل عدة، و أخذه بالرأي و إن قلّ قد يكون نابعاً من كون الإمام مالك جمع بين الحديث و الفقه، فكان محدثاً و فقيها في نفس الوقت و لقد كان يعقد مجلسين: أحدهما للحديث، و الآخر للفقه و يتهيأ لكل مجلس بما يناسبه في الظاهر و الباطن[2].

و مما يدل على تخوفه من العمل بالرأي، و أخذه به في بعض المواقف ما ذكره الإمام ابن خلكان في وفيات الأعيان أن الإمام القعنبي[3] قال:"دخلت على الإمام مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه، ثم جلست فرأيته يبكي، فقلت: يا أبا عبد الله، ما الذي يبكيك ؟ قال: فقال لي:"يا ابن قعنب، ومالي لا ابكي؟ و من أحق بالبكاء مني؟ و الله لوددت أني ضربت لكل مسألة أفنيت فيها برأيي بسوط، و قد كانت لي السعة فيما قد سبقت إلي، و ليتني لم أفت بالرأي"[4].

02- كراهيته للسؤال عمّا لم يحدث بعد: أي كراهيته للأسئلة الافتراضية، أو المتوقعة، لأنها لا نهاية لها، كما جاء في المدارك عن الإمام أسد بن الفرات، أن الإمام ابن القاسم، و غيره من تلاميذة الإمام مالك كانوا يلجؤونه لسؤال الإمام مالك عن المسائل الافتراضية، حتى ضاق منه الإمام مرة

1- ابراهيم المختار الزيلعي، **المدخل الوجيز في اصطلاحات السادة المالكية**، تح: عبد الله توفيق الصباغ، (د م)، (د ت)، ص 11.

2- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 02، ص 14.

3- **القعنبي**: هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب، الإمام الثبت القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن الحارثي القعنبي، أصله مدني و سكن البصرة، ثم مكة، ولد سنة 136هـ، قال لزمت مالكا عشرين حتى قرأت عليه الموطأ، توفي سنة 120هـ/737م أو 121هـ/738م ، أنظر: ابن فرحون، المصدر السابق، ص 214.

4- عبد القادر بوعافية، **آراء الإمام بن أشهب في المعاوضات المالية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 2013، ص 85.

فقال له إن أردت ذلك فعليك بالعراق" و لذلك نستطيع أن نقول إن مدرسة المدينة المنورة المالكية، كانت مدرسة إتباع القرآن و السنة و لا تتجاوزهما إلا بالضرورة الملحة، و هذا التمسك و التقيد بالنصوص القرآنية و النبوية يعود إلى كونها شهدت الوحي و التنزيل و السنة و الحديث، و قرب عهدها بمنبعها و مصدرها الأول، فلم تلجئهم الحاجة إلى غيرهما إلا نادراً[1].

- **أشهر علمائها و مشائخها:**

و هم الذين يصطلح على تسميتهم في المذهب المالكي بالمدنيين[2] نذكر منهم على سبيل المثال، لا الحصر:

01- الإمام أبو عمرو عثمان بن عيسى بن كنانة[3] المتوفى سنة 185هـ، وهو الذي خلف الإمام مالك في مجلسه بعد وفاته.

02- الإمام أبو محمد عبد الله بن نافع المتوفى سنة 186هـ، و هو الذي خلف الإمام عثمان بن كنانة بعد وفاته في مجلسه[4].

و من هذا نخلص إلى قول أن المدرسة المدنية هي أم المذهب المالكي، لكونها مهدا الوحي و التنزيل، و منها انتشر المذهب إلى أصقاع البلاد الإسلامية عن طريق تلاميذ الإمام مالك الذين و فدوا عليه من شتى الأنحاء.

ثانياً: المدرسة المصرية:

هي المدرسة الثانية من حيث الزمن، بعد مدرسة المدينة المنورة، التي ظهر بها المذهب المالكي كما جاء في المدارك:" أما أرض مصر فأول أرض انتشر بها مذهب مالك بعد المدينة المنورة، و غلب عليها، و أطبق أهلها على الاقتداء به، إلى أن قدم عليهم الشافعي"، و يعتبر الإمام عثمان بن عبد

1- محمد المختار محمد المامي، المرجع السابق، ص 40.

2- أبو عاصم بشير ضيف بن أبي بكر، **مصادر الفقه المالكي أصولا و فروعا**، دار ابن حزم، بيروت، 1429هـ/2008م، ص 210.

3- **أبو عمرو عثمان بن عيسى بن كنانة**: و كنانة هو مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان من فقهاء المدينة، أخذ عن مالك و غلب عليه الرأي، و ليس له في الحديث ذكر، و كان مجلسه عن يمين مالك لا يفارقه، توفي سنة 185 هـ، أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 21.

4- **أبو محمد عبد الله بن نافع**: هو عبد الله بن نافع السائغ مولى بني مخزوم، صحب مالكا أربعين سنة، و كان لا يقرأ و لا يكتب، و إنما كان يتحفظ، و هو قرين بن الأشهب في سماع العتيبة، أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 129.

الحكم الجزامي[1]، أول من ادخل علم مالك إلى مصر، و قيل: الإمام عبد الرحيم بن خال بن يزيد بن يحي.

- **نشأتها:**

مرت المدرسة المصرية بثلاث مراحل هي:

01- مرحلة النشأة و القوة.

02- مرحلة الضعف.

03- مرحلة العودة و الانتشار و الذيوع مرة أخرى، كما جاء في شجرة النور:" و أمّا فرع مصر فإن المذهب انتشر فيه انتشاراً قوياً، ثم انقطع نحو القرنين انقطاعاً كلياً ثم عاد و ذاع أتم ذيعان و استمر على ذلك حتى الآن"، أي زمان صاحب المقال[2].

01- مرحلة النشأة والقوة:

و هذه المرحلة تشمل حركة و نشاط طلبة الإمام مالك رحمهم الله، و الذين ينقسمون إلى قسمين: أولهما الطلبة الأوائل الذين تلقوا علم الإمام مالك مباشرة منه، و هم الذين رحلوا إلى الإمام مالك في المدينة المنورة و تعلموا منه مذهبه و فقهه منه مباشرة دون وساطة، و يعتبرون اللبنة الأولى للمدرسة المصرية في حياة الإمام مالك، و ذلك بعودتهم إلى مصر، و عقدهم جلسات و حلقات للفقه المالكي بمصر، و من هؤلاء التلاميذ الأوائل نجد:

- الإمام: عثمان بن الحكم الجزامي.
- الإمام: عبد الرحيم بن خالد الجمحي.

وهذان الإمامان يعتبران أول من قدم بالمذهب المالكي إلى مصر[3].

- الإمام: سعيد بن عبد الله المعافري[1].

1- **عثمان بن عبد الحكم الجزامي**: من بني نصر من كبار أصحاب الإمام مالك المصريين، كان فقيها و له روايات مشهورة عن الإمام مالك، كما أن له عن الإمام مالك نحو 17 حديثا، اختلف في سنة وفاته فقيل في سنة (136هـ/753م)و قيل سنة (163هـ/779م)، أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 52.

2- محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1350هـ/ 1931م، ص 450.

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 54.

- الإمام: طليب بن كامل اللخمي.

و ثانيهما الطلبة الذين تلقوا علم الإمام مالك من الطلبة الأوائل، ثم ارتحلوا إلى الإمام مالك و هم الطلبة و التلاميذ الذي اخذوا فقه الإمام مالك كله أو بعضه من الأئمة السابقين أولا في مصر، ثم بعد ذلك رحلوا إلى مالك في المدينة المنورة، للاستزادة والنهل من علم الإمام مالك مباشرة، و التشرف بالأخذ عنه مباشرة، إذ بعضهم قد اخذ علم الإمام مالك مباشرة إذ أن بعضهم اخذ علم الإمام مالك مباشرة من تلاميذته الأوائل كما قال الإمام ابن القاسم :"ما خرجت إلى الإمام مالك إلا وأنا عالم بقوله"، و قال الإمام سحنون معلقاً على قول الإمام ابن القاسم:" يريد انه تعلم من عبد الرحيم و طليب و سعد، و كانوا عندهم أوثق أصحاب مالك، و من هؤلاء التلاميذ نجد:

- الإمام: عبد الرحمان بن القاسم.
- الإمام: أشهب بن عبد العزيز.
- الإمام: عبد الله بن عبد الحكم[2].

ثم عاد هؤلاء الجهابذة الأفذاذ إلى مصر، و اشتغلوا بنشر المذهب المالكي فروعا و أصولاً عن طريق حلقات العلم المختلفة و قد ساعد المدرسة المصرية في هذه المرحلة من التأسيس اعتمادها على نقطتين أساسيتين ساهمتا في بزوغ نجمها و بروزها بقوة و هما:

أولاً: التواصل المباشر بينهم وبين الإمام مالك، حيث كانوا يترددون عليه من حين لآخر، و هذا أضفى على المدرسة حيوية و تفاعلاً مع كل مستجد في المذهب المالكي.

ثانياً: التخصص الذي مكنهم من التعمق، حيث تخصص كل منهم في فنّ معين من الفقه المالكي، فكان الإمام ابن القاسم متخصصاً في البيوع، بينهما كان الإمام أشهب متخصصاً في الجراح، و هذا ما جعل المدرسة تعتمد على متخصّصين في الفقه المالكي[3].

02- مرحلة الضعف:

1- **سعيد بن عبد الله المعافري**: من كبار اصحاب مالك المصريين، و هو الذي اعان بن وهب على تآليفه، توفي سنة (173هـ/789م)، أنظر: نفسه، ج 03، ص 56.

2- عبد القادر بوعافية، المرجع السابق، ص 89.

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 234.

بدأت هذه المرحلة في القرن الرابع الهجري لما استولى العبيديون على مصر، و قتلوا من كان فيها من أئمة المذاهب الأخرى، خاصة (الحنفية و المالكية و الشافعية) و عزّزوا مذهبهم الشيعي آنذاك، إذ يقول ابن خلدون عن تلك الحقبة في المقدمة:" ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة، وتداول بها فقه أهل البيت، وكان من سواهم يتلاشون ويذهبون"[1].

كما أنّ فتنة خلق القرآن ساهمت في إضعاف المدرسة المصرية تلك الفتنة التي افتن بها أهل السنة جميعاً و لم يستثن منهم احد، كما قال القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك:" لما أمر الواثق الناس بالمحنة في القرآن، ورد كتابه إلى أبي بكر الأصم قاضي مصر، فأخذ الناس بذلك فلم يبق فقيه و لا مؤذن و لا معلم إلا أخذ بها، فهوى كثير من الناس، و ملئت السجون ممن أنكرها"، و من المالكية الذين تأثروا بها و كان لهم وزن في المدرسة المالكية المصرية أسرة بني عبد الله بن عبد الحكم، صاحبة العلم و الجاه[2].

03- مرحلة العودة والظهور:

بعد أن انتهت محنة خلق القرآن بدأت عودة المدرسة المالكية المصرية، مع أواخر القرن الرابع و بداية القرن الخامس، و برز علماء و فقهاء مالكيون حملوا الراية و المشعل، من بينهم الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن صدفة المتوفى سنة 306هـ، و هو من أصحاب الإمام محمد بن عبد الحكم، احد أفراد أسرة بني عبد الله بن عبد الحكم، و الإمام أحمد بن خالد بن ميسر، المتوفى ستة 339هـ الذي انتهت إليه الرئاسة في مصر في زمانه و الإمام محمد بن القاسم بن شعبان، المتوفى سنة 355هـ، المعروف بالقرطبي، و الذي انتهت إليه الرئاسة في مصر كذلك[3].

- مميزات المدرسة المالكية المصرية:

لما كانت المدرسة المصرية هي محور المدارس المالكية، لأنها أخذت من جميع المدارس المالكية من جهة و أخذت منها جميع المدارس، فكانت قطب التأثر و التأثير في المذهب المالكي، و مما

1- عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م)، **مقدمة بن خلدون**، تح: عبد الله محمد الدرويش، مج 01، دار يعرب، دمشق، 1425هـ /2004م، ص 419.

2- **أسرة بني عبد الله بن عبد الحكم**: هي عائلة عريقة عرفت بالجاه و التفقه في المذهب المالكي في مصر، أنظر: القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 363، ج 04، ص 155.

3- محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 80.

ساعدها على ذلك أن روادها هم كبار تلاميذة الإمام مالك الذين لازموه مدة طويلة من جهة و حملوا لواء المذهب من بعده من جهة ثانية و على رأسهم الإمام ابن القاسم زعيم المدرسة المصرية والإمام ابن وهب، والإمام الأشهب بن عبد العزيز و غيرهم[1]، و قد ناسب موقعها الاستراتيجي بين المدارس المالكية، و تفوق علمائها، لتتميز بمميزات خاصة عديدة خاصة فيما يتعلق بالتأليف شكلاً و مضموناً، و يتمثل في الآتي:

01- اعتماد الأثر و العمل موازاة مع الحديث، أي تقديم الأحاديث التي جرى بها عمل أهل المدينة على الأحاديث التي لم تتجلى في عملهم، و هذه هي الميزة الأساسية للمدرسة المصرية أو أغلب علمائها، و على رأسهم الإمام ابن القاسم رائد المدرسة المصرية.

02- من علمائها من تبنى منهج المدينة في اعتماد الحديث وتقديمه على الأثر والعمل، وعلى رأس من اعتمد هذا المنهج نجد الإمام ابن وهب، فقد كان يقدم العمل بالحديث الصحيح على السنة الأثرية[2].

و مما يؤكد هذين المنهجين في المدرسة المصرية هو ما رواه الإمام يحي بن يحي الليثي في المدارك، ومن تردّده بين الإمام عبد الرحمان بن القاسم، والإمام ابن وهب حيث قال:« كنت آتي عبد الرحمان بن القاسم، فيقول لي من أين يا أبا محمد ؟ فأقول له: من عند عبد الله بن وهب، فيقول لي: اتق الله، فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل، ثم آتي عبد الله بن وهب فيقول لي من أين ؟ فأقول له: من عند ابن القاسم، فيقول لي: اتق الله فإن أكثر هذه المسائل رأي"[3].

03- اهتمامهم بمزج العلوم الفقهية بالعلوم الأخرى، خاصة علوم الآلة كالنحو، و اللغة الفهم و توضيح المعنى المراد، و يعتبر الإمام الحاجب أوّل من مزج بين العلوم[4].

04- الاهتمام بتوثيق النصوص في مؤلفاتها، و تصديرها بمقدمات تمهيدية، تتعلق بالفقه عموماً و بيان فضله كما فعل الإمام القرافي في الذخيرة، حيث ذكر فضل العلم، و فضل الإمام مالك، و ما

1- مجموعة من الباحثين، **ندوة الإمام مالك**، ج 02، مطبعة فضالة، فاس، 1400هـ/1980م، ص 79.

2- محمد إبراهيم علي، **اصطلاح المذهب عند المالكية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، 1421هـ/ 2000م، ص 72.

3- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 387.

4- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مج 04، مطبعة المعارف، الرباط، 1340هـ/ 1921م، ص 66.

امتاز به عن غيره من الأئمة و بعد ذلك ذكر طريقته في التأليف، و مصادره الأساسية، و قد تكون خاصة بالكتاب المؤلف، كالمقدمة التي وضعها الإمام خليل في شرحه لمختصر ابن الحاجب، حيث بيّن فيها بعض المصطلحات المتعلقة بالكتاب و مقدمة الإمام خليل في مختصره الفقهي المشهور، التي شرح فيها بعض المصطلحات الفقهية المستعملة في المختصر، مثل: الترجيح والاختيار[1].

05- تحديد أسماء المصادر و المراجع المعتمدة في التأليف، مع بيان علّة الذكر أحيانا: كما يظهر جلياً في كتاب الذخيرة للإمام القرافي، حيث قال:" و اخترت أن أقول، قال صاحب البيان أو قال صاحب المقدمات، أو صاحب النكت، لأجمع بين القائل والكتاب المقول فيه، فإن صاحب البيان قد ينقل في المقدمات، وصاحب النكت قد ينقل في تهذيب الطالب، ومتى قلت: قال المازري فهو في شرح التلقين تركته لطول الاسم"[2].

06- إبراز ذكر الخلاف، سواء كان داخل المذهب أو خارجه، و هي سمة ستستحق بها المدرسة المصرية الإخلال والإكبار، لأنها بهذه السمة تبرهن على فهم عميق لأوجه الاختلاف، و هو جوهر العلم و الفقه الصحيحين ليتم التعامل بروح علمية صادقة بعيدة عن التعصب للرأي و مجانبة الحقّ لأن العبرة بالحق، فهو أحق أن يتبع، سواء من صاحب المذهب، أو من غيره، هذا ما أكده الإمام القرافي في مقدمته بقوله:"و قد آثرت التنبيه على مذاهب المخالفين لنا من الأئمة الثلاثة رحمهم الله ومآخذهم في كثير من المسائل، تكميلاً للفائدة، ومزيداً في الاطلاع، فإن الحق ليس محصوراً في جهة فيعلم الفقيه أي المذهبين أقرب للتقوى".

07- استعمال أساليب الاختصار في التأليف، سواء اختصار الألفاظ و الكلمات كاختصار أسماء الأعلام أو اختصار المعاني و العبارات، كما يظهر جلياً في مختصر الإمام خليل، ومختصر الإمام ابن الحاجب، و صرح بذلك الإمام القرافي في مقدمته بقوله:"و قد جعلت الشين علامة للشافعي و الحاء علامة لأبي حنيفة، و الأئمة علامة للشافعي و أبي حنيفة و ابن حنبل، و الصحاح علامة لمسلم و البخاري و الموطأ"[3].

- **أشهر علمائها و مشايخها:**

1- خليل بن اسحاق الجندي المالكي(ت 776هـ/1374م)، **التوضيح في شرح المختصر الفرعي لإبن الحاجب**، تح: أحمد بن عبد الكريم النجيب، مج 01، مركز نجيبويه للمخطوطات و خدمة التراث، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، ص ص 07-08.

2- شهاب الدين القرافي، المصدر السابق، ج 01، ص 37.

3- نفسه، ج 01، ص ص 40-41.

و هم الذين يلقبون بالمصريين من تلامذة الإمام مالك فنذكر منهم أشهرهم مرتبين حسب سنة و فاتهم:

- الإمام أبو عبد الله عبد الرحمان، المشهور بابن القاسم المتوفى سنة 191هـ.
- الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب القرشي، المتوفي سنة 197هـ.
- الإمام أبو عمر أشهب بن عبد العزيز، المتوفى سنة 204هـ.
- الإمام أبو محمد عبد الله بن الحكم، المتوفى سنة 210هـ.
- الإمام أبو عبد الله أصبغ بن الفرج المتوفي سنة 225هـ.

فممّا سبق يمكن القول أن المدرسة المصرية المالكية هي المنهل الثاني للمذهب المالكي بعد المدرسة الحجازية و مركز إشعاعها بالمدينة المنورة، و ذلك لاعتماد المدارس المالكية الأخرى على مؤلفاتها و اجتهاداتها، كاعتماد المدرسة العراقية على مخصري الإمام عبد الله بن الحكم المتوفي سنة 210هـ بالإضافة إلى ما تميزت به من الإثراء المتنوعة للمذهب المالكي، حيث كانت نموذجا تغبطها عليه المذاهب الأخرى، خاصة ما يتعلق بطريقة التأليف والمنهجية في الشرح والطرح[1].

1- منصور رابح بوجلول، **المدخل إلى مذهب الإمام مالك**، دار النهضة، دمشق، 1426هـ/2005م، ص 40.

الفصل الأول

أوضاع الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية:

01 – في العهد الفاطمي:

02 – في العهد الأيوبي:

03 – في العهد المملوكي:

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية:

01– في العهد الفاطمي:

02 – في العهد الأيوبي:

03 – في العهد المملوكي:

المبحث الثالث:الأوضاع العلمية:

01 – في العهد الفاطمي:

02 – في العهد الأيوبي:

03 – في العهد المملوكي:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية:

01 – في العهد الفاطمي:

تميز العصر الفاطمي بتقلبات سياسية نتيجة الصراعات الحادة على السلطة التي لم تعرف الاستقرار وقد سفكت فيها الدماء، و أزهقت فيها الأرواح وانعكس ذلك كله على الحياة العامة في مختلف المجالات في مصر و وصل الأمر في التطاحن على السلطة أن يقتل الأخ أخاه للاستحواذ على كرسي السلطة، و سنوجز في هذا البحث بعض محطاتها خلال القرنين السادس و السابع للهجرة، و نسلط الأضواء على مشاركة الإسكندرية في الصراع الذي احتدم بين الوزراء[1].

لما توفي الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد في 05 من جمادى الآخرة سنة (544 هـ/1149م) و بويع ابنه أبو المنصور إسماعيل الملقب بالظافر بأمر الله، قام بتدبير الوزارة الأمير نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال المغربي، و كان يتولى الإسكندرية والبحيرة في عهد الحافظ والٍ يُدعى أبو منصور علي بن إسحاق المعروف بابن السلار[2]، فخرج بعساكره لنصرة الظافر الابن الأصغر للحافظ على أخيه الابن الأكبر الطامع في الخلافة، ونجح في تنصيب الظاهر على دست الخلافة.وقبض على أخيه الأكبر[3]، ثم رفض ابن مصال.ولم يرض بوزارته.وحشد الجيوش لمحاربة ابن مصال، ثم واصل ابن السلار زحفه إلى القاهرة، و استولى على الوزارة سنة (545هـ/1150م) و لُقِّب بالعادل[4].

وفي عهد الفائز بنصر الله خرج عن طاعة وزيره الصالح الأمير طرخان بن سليط بن طريف، والي الإسكندرية في سنة (554هـ/1159م)، فوجه إليه الصالح ابن أخته الأمير عز الدين أبي حسام على رأس جيش لقتاله في سنة (555هـ/1160م) ازدادت ثورة طرخان اشتعالا بانضمام أخيه إسماعيل إليه.وجمعا لحرب الصالح حشودا ضخمة من العربان وغيرهم فخرج إليها الأمير المظفر عز الدين حسام، و الأمير مجد الخلافة أسد الدين، ولما ظفر به صلبه، ثم ضربت عنق إسماعيل[5].

1- تقي الدين المقريزي (ت 845هـ/1442م)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح: جمال الدين الشيال، ط 02، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (1416 هـ – 1996)، ص130.

2- **الوزير الملك العادل سيف الدين علي بن السلار الكردي**: نشأ بالقاهرة، و ولي الصعيد و غيره، و أقبل يطلب الوزارة، و استولى على الممالك و لقب بالعادل، أنظر: السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي**، دار المعارف، القاهرة،1961، ص 195.

3- ابن القطان المراكشي، **جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، تطوان، ص235.

4- تقي الدين المقريزي، المصدر السابق، ص143.

5- **اسد الدين شيركوه**: قائد عسكري في الدولة الزنكية وعم صلاح الدين الأيوبي، ساهمت انجازاته في تأسيس الدولة الأيوبية، أنظر: السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 198.

و وصل الأمر في هذا الصراع المرير الاستنجاد بالإفرنج فعندما احتدم الصراع على الوزارة بين شاور وخصمه ضرغام سنة (558هـ/1163م)، و هزم ضرغام شاور و أخرجه من القاهرة بعد أن قتل ابنه الأكبر و استقر ضرغام في وزارة العاضد بعد خروج غريمه من القاهرة فاتجه شاور إلى الشام يستنجد بنور الدين محمود ابن زنكي صاحب دمشق وحلب، ولما قدمت عساكره الشام بقيادة أسد الدين شيركوه، و بعد معارك طاحنة مع جيش ضرغام انتهت بقتل هذا الأخير سنة (559هـ/1164م)، و استولى شاور على الوزارة[1]، غير أن شاور نكث العهد الذي أعطاه لقائد جيش الشام، و أمره بالخروج من مصر، فأبى شيركوه الامتثال للأمر، فاستنجد شاور بالإفرنج، فحاصرت قوات الإفرنج و قوات شاور جيش الشام حتى أجبروهم على الانصياع و العودة إلى الشام، غير أن نور الدين لم يلبث أن جهز حملة جديدة بقيادة شيراكوه وصلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب في ربيع الأول سنة (562هـ/1167م)، واشتبك الفريقان في قتال عنيف انتهى بهزيمة الإفرنج و جيش شاور[2].

و مما يسجل في هذا الصدد أن سكان الإسكندرية و قفوا إلى جانب جيش الشام بعد أن استنجد بهم قائده أسد الدين شركوه استنكارا منهم لدخول الإفرنج إلى دار الإسلام، و أمَّروا عليهم نجم الدين بن مصال الذي كان قد لجا إلى الإسكندرية، و سلَّموا القائد جيش الشام (لميلهم إلى مذهب السنة، و كراهيتهم لإدخال الإفرنج أعداء الإسلام إلى ديارهم)[3]، و الجدير بالذكر أن الإسكندرية كانت بارزة على مسرح هذه الأحداث وقفنا عند بعض محطاتها في خضم هذه الفتن المتلاطمة، سواء في تولية الوزراء أو عزلهم، أو في التصدي للغزو الصليبي خلال هذه الحقبة من تاريخ مصر عامة، و الإسكندرية على وجه الخصوص موضوع دراستنا خلال القرنين السادس والسابع الهجريين[4].

02 – في العهد الأيوبي:

يرتبط تاريخ مدينة الإسكندرية ارتباطا وثيقا بالحوادث التي أدت إلى سقوط الدولة الفاطمية وقيام دولة صلاح الدين في مصر، ففي منتصف القرن السادس الهجري تسابقت جيوش نور الدين محمود زنكي وجيوش الصليبيين في الشام إلى مصر، تريد أن تنتهز فرصة انحلال الدولة الفاطمية وضعفها وتتولى على تراث ملكها في مصر، فقد شهدت الإسكندرية في السنة الثالثة من قيام الدولة الأيوبية غزوة قام بها وليام الثاني النورماندي ملك

1- تقي الدين المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، ج 02، دار صادر، بيروت،(د ت)، ص132.

2- ابن واصل جمال الدين (ت697هـ/1298م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: جمال الدين الشيال،ج 01، دار القلم، القاهرة، ص 150.

3- ابو شامة عبد الرحمان المقدسي (ت665هـ/1266م)، **الروضتين في أخبار الدولتين**، ج 02، دار الجيل ،بيروت، (د ت)، ص 364.

4- ابن واصل، المصدر السابق، ص151.

صقلية ضمن مؤامرة حاك خيوطها أنصار الفاطميين في مصر لإحياء الخلافة الفاطمية بالاتفاق مع أعداء صلاح الدين من الإفرنج و الإسماعلية الحشيشية في جبال الدعوة في الشام[1].

و قد اتفق هؤلاء المتآمرون في مصر، و على رأسهم عمارة اليمني، و عبد الصمد الكاتب و القاضي العويرس على استدعاء الإفرنج من صقلية والشام إلى مصر بإغرائهم بالمال واستباحة البلاد، و كانوا يهدفون إلى إشغال صلاح الدين بالخروج إلى الإفرنج، لتخلو لهم الساحة في القاهرة و مصر فيحيون الدعوة الإسماعيلية، غير أن أمر المؤامرة بلغ صلاح الدين، فقبض على رؤوس المؤامرة وصلب منهم ثمانية في 20 رمضان سنة (569هـ/1174م)[2]. و وصل أسطول صقلية إلى ثغر الإسكندرية في 26 من ذي الحجة (569هـ/1174م) و كان أسطولا ضخما عددا وعدة، قوامه خمسين ألف مقاتل من بينهم ألف فارس، واستبسل أهل الإسكندرية في الدفاع عن مدينتهم رغم قلة عددهم وعدتهم مقارنة مع جحافل قوات الإفرنج، لكن الإمدادات العسكرية التي بدأت تتلاحق من القاهرة بإمرة صلاح الدين الأيوبي رجحت الكفة لصالح المسلمين، فانقض أهل الإسكندرية بمعية المدد المعتبر لطلائع صلاح الدين، فمزقوا أعدائهم شر ممزق، فاحرقوا معداته وقتلوا أعدادا هائلة من أعدائهم واسروا الكثيرين منهم، ثم اقلع ما تبقى من الأسطول الصقلي بالناجين منهم لا يلوون على شيء من اليوم الخامس من حصارهم للإسكندرية في مستهل المحرم (570هـ/1175م)[3].

03 – في العهد المملوكي:

تميز عصر المماليك[4] بتقلبات سياسية كثيرة نتيجة الوضع السياسي المضطرب في العالم الإسلامي، بدءا بالحملات الصليبية التي استهدفت الشام ومصر، واستمرت إلى ما بعد عصر المماليك، وكذلك الهجوم المغولي الشرس، الذي اكتسح دول المشرق الإسلامي، تنكيلا و تدميرا في مختلف مجالات الحياة، وانتهى بسقوط الخلافة الإسلامية في بغداد سنة (656هـ/ 1258م)، و كان لهذا الزلزال في كيان الأمة اثر عميق في ربوع البلاد الإسلامية، فأصبحت الإسكندرية في ظل هذه الأوضاع غرضا لحملات الصليبين، و القبارصة منهم على وجه الخصوص، لموقعها الاستراتيجي و لكونها بوابة بين الشرق والغرب في الملاحة التجارية، لذلك اهتم المماليك بالأمور السياسية في الإسكندرية بحكم موقعها المتميز، فتكررت زيارات السلاطين للثغر و على رأسهم السلطان

1- جمال الدين الشيال، **تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، 1922، ص ص 162، 163.

2 – تقي الدين المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمد عبد القادر عطا، ج01، دار الكتب العلمية، بيروت، (1997م/1418هـ)، ص56.

3- ابو شامة،ا لمرجع السابق، ص300، المقريزي، (السلوك)، المصدر السابق، ج 01، ص 57.

4- **عصر المماليك**: لقد قسم المؤرخون المماليك إلى قسمين بحرية وحكم سلاطينها من (648- 784هـ / 1250- 1382م)، و سموا بالبحرية نسبة لجزيرة الروضة التي سكنوا بها، أنظر: أمال رمضان عبد الحميد صديق، **الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، 1421هـ – 2001م، ص.

الظاهر بيبرس[1]، حيث أولى الإسكندرية جل اهتمامه وعنايته، خصوصا المنشات العسكرية بتوفير وسائل الدفاع عن المدينة فأقام التحصينات، واعتنى بحوض صناعة الأسطول[2].

ففي العام الثاني لتوليه السلطنة (659هـ/1261م) اصدر مرسوما يقضي بتعزيز بناءات أسوار مدينة الإسكندرية و رصد لذلك ميزانية لتغطية تكاليف انجاز هذا المشروع، كما أمر بحفر الخنادق و العناية بتطوير أسطولها، و حرص على الإشراف على هذه المهمة بنفسه و كثف زياراته الميدانية لمراقبة انجاز المشاريع المسطرة[3] فقد زارها للمرة الأولى عام (661هـ/1262م) و استُقبل من قبل أهلها بالحفاوة و الترحيب، و نظر في المظالم و الشكايات المقدمة من أهالي الثغر، و اصدر أوامره بإصلاح أبراج المدينة و ترميمها و زودها بالرجال و أمدها بالسلاح[4]، و تكررت زيارته لها للمرة الرابعة، ولما تولى السلطان المنصور قلاوون[5].

و بلغت الإسكندرية أوج ازدهارها في عهد الناصر بن المنصور قلاوون، الذي أولى المدينة عناية خاصة فقام بأعمار ما تهدم من جراء الزلزال الذي خلف أثارا بالغة في العمران سنة (702هـ/1303م) و كان النظام السائد في الدولة المملوكية يعتمد على قوة السلطان ، وهو احد المماليك،تتم بيعته من قبل كبار الأمراء والمماليك ليكون سلطانا عليهم[6].

و كان السلطان يعتمد في إدارة شؤون الدولة على كبار الموظفين الإداريين، و كان بمصر في ذلك العصر عدة دواوين حكومية يتولى كل منها ناحية معينة من نواحي الإدارة العامة، و من أهم هذه الدواوين[7]:

- ديوان الإنشاء الذي يتولى مهام العلاقات الخارجية وتحرير مراسلات السلطان.

1- **الظاهر بيبرس**: هو بيبرس بن عبد الله، من بلاد القفجاق، من مماليك الصالح نجم الدين ايوب، قضى وقته مدافعا عن الإسلام و المسلمين، و شهد عهده عدة إصلاحات حربية وعمرانية، انظر: محمود بن أحمد البدر العيني، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تح: هانس ارنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962، ص 174.

2- تقي الدين المقريزي: (**الخطط**)، المصدر السابق،ج01، ص 224.

3- محي الدين ابن عبد الظاهر(692هـ/1292م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تح: عبد العزيز الخويطر، (د م)، الرياض، 1396هـ/ 1976م، ص 91.

4- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 278.

5- **السلطان المنصور قلاوون**: هو السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي،كان ملكا حليما حسن السياسة فتح الفتوحات الجليلة و قهر التتار ، مدة حكمه11عاما وشهرين (ت689هـ/1290م).انظر: ابن شاكر احمد الكتبي (ت764هـ/1363)، **فوات الوفيات**،ج 02، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 269.

6- ابن اياس الحنفي (930هـ/1523م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،ج 01، تح: محمد مصطفى،ط 01، دار إحياء الكتب العربية، (1383هـ/1963م)، القاهرة، ص 416.

7- **الدواوين**: و هو موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال و الأموال و من يقوم بها من الجيوش و العمال، انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت450هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية**، تح: احمد مبارك البغدادي، ج 01، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989/1409م، ص 191.

– الديوان الخاص، و يدير الشؤون المالية المتعلقة بالسلطان.

– ديوان النظر، و يشبه وزارة المالية، حيث يشرف على حسابات الدولة و على أرزاق الموظفين.

و كانت المناصب الإدارية الكبرى هي نيابة السلطنة[1] و الاتابكية[2] و الوزارة، و ولاية القاهرة، و ولاية الأقاليم، و قد كانت الإسكندرية ولاية من ولايات الوجه البحري، يعين عليها وال من أمراء الطبلخانات[3]، و ذلك قبل أن تتحول إلى نيابة سنة (767هـ/1365م) ، و يعود تحويلها إلى نيابة لعدة أسباب لعل من أهمها وقعة القبارصة على المدينة، و أيضا لما وصلت إليه المدينة من مكانة اقتصادية حيث أصبحت في العصر المملوكي من أهم مراكز التجارة في حوض البحر الأبيض، و عين لها نائب اختير من الأمراء المقدمين[4] و تمتع بما كان يتمتع به من نواب السلطنة في طرابلس و حماة و صفد من نفوذ و عظمة، ثم ما لبث أن أصبحت مرتبته توازي مرتبة نائب السلطنة بمصر و كان أول من تولى وظيفة نائب الإسكندرية بكتمو الشريف[5]، و عظم قدر نائبها وصار يسمى ملك الأمراء.

وقد كان للنائب سياسيون يعينون النائب، منهم ناظر الثغر[6] وحاجب أمير عشرة و حاجب جندي و أجناد حلقة و الوالي و ناظر الصادر و ناظر الخاص و القضاة و المحتسب و ناظر دار الطراز و نائب و كيل بيت المال و غير ذلك، ويلي وظيفة نائب الإسكندرية من حيث الأهمية ناظر الثغر، فهو يباشر تحصيل أموال

1- **نيابة السلطنة**: كان يتولاها نائب السلطنة، من أعماله توقيع المراسيم والمنشورات و تعيين الموظفين، أنظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **معيد النعم و مبيد النقم**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1407هـ – 1986م، ص 34.

2- **الأتابكية**: والمراد به أمير الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل وليس له وظيفة ترجع إلى حكم ونهي وغايته رفعة المحل وعلو المقام كان يتولاها الأتابكة، و هو القائد العام للعساكر، أنظر:أبو العباس أحمد القلقشندي (821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، ج 04، دار الكتب المصرية، 1340هـ – 1922م، ص 18.

3- **الطبلخاناة**: و هي طبول متعددة معها أبواق و زّمارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب و تكون صحبة الطلب في الأسفار و الحروب و هي من الآلات العامة لجميع الملوك، و تطلق كلمة الطبلخاناه على بيت الطبل الذي يشتمل على الطبول و الأبواق و توابعها من الآلات، و أمير الطبلخاناه هو الذي يرقى إلى درجة يستحق بها أن تضرب الموسيقى على بابه و يكون أمير أربعين ويتدرج في الزيادة إلى الثمانين، و يعد أمير الطبلخاناه في الدرجة الثانية من الأمراء، أنظر: ابراهيم الكيلاني و آخرون، **مصطلحات تاريخية في العصور الثلاثة (الأيوبي و المملوكي و العثماني)**، مجلة التراث العربي، العدد 49،السنة 13، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ربيع الثاني 1413هـ/أكتوبر 1992م، ص 53.

4- **الأمراء المقدمين**: و يقصد بها أمير مائة مقدم ألف، و هي اكبر رتب الأمراء في عصر السلاطين المماليك، و لصاحبها الحق في أن يمتلك مائة مملوك ، و يقود ألفا في حالة الحرب، أنظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر المملوكي في مصر و الشام**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976، ص 415.

5- **بكتمو الشريف**: هو بكتمو بن عبد الله المؤمني، تدرج في الوظائف حتى ولى نيابة الإسكندرية، أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ط 02، 1392هـ – 1972م، ص 21.

6- **ناظر الثغر**: و يطلق عليه ناظر الإسكندرية، وظيفته موضوعها التحدث في الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصل من المأخوذ من تجار الفرنج، أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج 11، ص 419.

الثغر، و النظر في أحوال التجار، و كان للناظر مجلس يعقده لبحث القضايا والمشكلات المتعلقة بمجال اختصاصه و كان يساعده في المجلس متولي الثغر الذي تعتبر وظيفته من الدرجة الثانية من حيث التسلسل الإداري الوظيفي، و مهمته العمل على استتباب الأمن، و الاهتمام بشؤون جنده ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر قد يهدد المدينة وكذلك من مهامه إقامة الحدود و نشر العدل بين الناس[1].

و لقد شهدت الإسكندرية في عصر سلاطين المماليك أحداثا سياسية هامة، و اتصالات دبلوماسية شتى كما شهدت أيضا معارك بحرية ضارية، و غارات وحشية غاشمة، كما أنه كان لسلطنة المماليك اتصالات سياسية بالدول الأوربية ذات المصالح التجارية والسياسية في البحر المتوسط.وقد لعبت الإسكندرية دورا أساسيا في رسم السياسات الخارجية وإبرام المعاهدات الدولية، و الاتفاقيات التجارية بين دولة المماليك و الدول الأخرى فقد قام المنصور قلاوون و ابنه الأشرف خليل بتوقيع معاهدات تجارية دولية مع المدن التجارية الأوربية[2].

و رغم المصالح التجارية المشتركة بين المماليك و المدن التجارية الأوربية، فقد ظل الصراع محتدما بين المماليك في السابقة لدولة المماليك في العهد الأيوبي، بقيادة صلاح الدين الأيوبي، حيث مني الصليبيون بهزائم ساحقة و التي كانت معركة حطين فاتحتها، ثم تتالت هزائم الصليبيين خلال عهد المماليك البحرية ثم تم إجلاء الصليبيين نهائيا من فلسطين[3].

و قد عملت الكنيسة ما في وسعها لإذكاء نار الداء و الكراهية ضد دولة المماليك في مصر و الشام متوعدة بإصدار قرارات الحرمان على كل من يستمر في علاقاته التجارية مع دولة المماليك. و عملت على إعداد بعض السفن و تسليحها لمراقبة تنفيذ الخطر الاقتصادي الذي فرضته على موانئ دولة المماليك في مصر و الشام و قد برز هذا الخطر الاقتصادي جليا بعد سقوط عكا على يد السلطان خليل بن قلاوون عام (691هـ/1291م) حيث اصدر البابا نيقولا الرابع قرار تحريم التجارة مع البلدان الخاضعة للسلطان، و سارع مجلس شيوخ البندقية بتأييد هذا القرار، و ساند الملك هنري لوزيتان الثاني ملك قبرص هذا القرار بالمشروع الذي تقدم به البابا كليمونت الخامس، و القاضي باستقلالية الأسطول الصليبي عن نفوذ ملك الجمهوريات التجارية الايطالية، الذي كان هنري يرتاب في مدى ولائه للحركة الصليبية[4].

1- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 50.

2- نجلاء محمد عبد النبي، **العلاقات السياسية و الإقتصادية في عصر المماليك (مصر و البندقية)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 1405هـ – 1985م، ص 211.

3- عماد الدين الأصفهاني (ت597هـ/ 1200م)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تح: محمد محمود صبح، دار المنار، القاهرة، 1965، ص 77.

4- سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، ط 02، بيروت، 1424هـ – 2003م، ص 99.

غير أن هذا الحصار لم يدم طويلا لأن مصالح الجمهوريات الايطالية (كالبندقية و جنوة) و المماليك الاسبانية كارغون و قشتالة تعارضت مع هذا الحصار، فعملوا على إلغائه و عدم الامتثال بتطبيقه، و لم تفلح الكنيسة في مساعيها لغزو مصر عسكريا نظرا لقوة المماليك و الروح الجهادية العالية التي تحلى بها المسلمون في صد الهجوم الصليبي، فلجا الفرنج إلى الضربات الخاطفة المباغتة، و القرصنة البحرية، و تخريب الموانئ المملوكية فتوالت غارات القراصنة الكتلان و الاسبتارية[1]، و رودس و قبرص، و غيرهم على السواحل و الثغور الشامية و المصرية، و كانت الإسكندرية مسرحا لتلك الهجمات الشرسة خاصة من قبائل القبارصة، حيث كانت المشكلة القبرصية من معضلات المشاكل السياسية و العسكرية التي واجهت الإسكندرية خلال عقود من دولة المماليك و كانت لها تأثيرات سلبية على النواحي الاقتصادية و الاجتماعية بالمدينة، و انعكس ذلك على الحياة العلمية بها، و لم تحسم هذه المشكلة إلا بعد فتح قبرص في عهد السلطان برسباي ، في أواخر دولة المماليك الجراكسة[2].

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية:

01- في العهد الفاطمي:

لقد شغلت الإسكندرية مكانا بارزا بين المدن التجارية الهامة في حوض البحر المتوسط في العصر الفاطمي.فكانت أهم مركز في مصر و الشام لتجارة البهار بالنسبة لدول أوربا ،كما يذكر "حسين مؤنس" في مقال له بمجلة الجمعية التاريخية المصرية، و كانت السلع تصل إلى مينائها، محمولة على ظهور الإبل ثم تنقل بالسفن في خليج الإسكندرية حتى تصل إلى خليج الفسطاط ، والعكس بالعكس[3]، و في العصر الفاطمي تألقت مدينة الإسكندرية ، و استعادت ازدهارها القديم ، و أصبحت بحق العاصمة الثانية لمصر، و ثغرها التجاري الأول الذي تفد إليه السفن التجارية حاملة سلع الشرق و الغرب ، لذلك نافست بغداد في الزعامة التجارية ،كما أصبحت محطة رئيسية للسفن القادمة من المغرب و الأندلس إلى الشام و مصر[4].

و قد كان لبعد بلاد المغرب عن المشرق الإسلامي مركز الحضارة الإسلامية و مهدها، و احتكاكها بالعالم الأوربي اثر كبير في تطلع أهل المغرب و الأندلس للرحلة إلى مصر و الشام و العراق. فكانت الرحلات

1- **الاسبتارية:** من الطوائف الدينية العسكرية، ففي سنة (465هـ/1070م)أنشأت جماعة من الأماليقيين اشتهروا بالتقوى و الصلاح دارا ببيت المقدس لينزل بها الحجاج و الفقراء بعد أن أخذوا إذنا بذلك من والي الخليفة الفاطمي على بيت المقدس، و كانت لا تخضع سوى للبابا، أنظر: السيد الباز العريني، **الشرق الأوسط و الحروب الصليبية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963، ص 357 – 359.

2- أحمد الدراج، **المماليك و الفرنج**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961، ص 07.

3- حسين مؤنس، **أثر ظهور الإسلام في الحياة السياسية و الإقتصادية في البحر المتوسط**، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، ماي 1951، ص 51.

4- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سوريا و بلاد العرب**، مكتبة النهضة العربية، ط 02، القاهرة، 1958، ص 210.

العلمية و التجارية للأندلسيين و المغاربة ، فالتحم المشرق بالمغرب ،علميا و اقتصاديا و روحيا عن طريق الرحلات البحرية[1].

لقد كانت السفن تنتقل بصفة مستمرة بين موانئ المغرب و برقة و طرابلس و سوسة و المهدية و تونس و بين الاسكندرية و دمياط و تنيس، و طرابلس الشام و غيرها ، أو بين مالقة و اشبيلية ، و بين الإسكندرية و غيرها من الموانئ في مصر و الشام، تحمل إلى المغرب سلع المشرق كالتوابل و السكر و المسك و مواد الصباغة و الدباغة و الحنظة ، و المواد الصيدلية و العطرية، و الثياب المنسوجة بالإسكندرية بوجه خاص ، و التي يذكر المقريزي:"انه لا مثيل لها و تحمل إلى أقطار الأرض"، و الشرب السكندرية، و الشاش السكندري و كذلك كانت تحمل إلى المغرب المنتجات الخزفية و البردى الذي اشتهرت مصر بصناعته، و كانت هذه السفن تحمل إلى المشرق منتجات المغرب و الأندلس، و هي عديدة زيت الزيتون و الفستق و الثياب و العمائم السويسية نسبة إلى مدينة سوسة، و الثياب الصوفية و المآزر المصنوعة باغمات ، و جلود النمور و البقر التي كانت تصل إلى برقة، و تتجهز بها المراكب القادمة من الإسكندرية، و الصوف و العسل و التبر من مدينة تكرور و غانة ، عن طريق مدينة ورجلان.ومن قصر طلميثة بليبيا يصدر الكتان والقطن والعسل والسمن إلى الإسكندرية، و من الأندلس يصدر الزيت من اشبيلية إلى الإسكندرية و المشرق[2].

و كانت معظم السفن التجارية القادمة من المغرب تسير بمحاذاة الساحل الإفريقي ، و ترسو بثغور تونس و برقة حتى تصل إلى الإسكندرية ، و منها تتجه إلى إنطاكية مارة بسواحل مصر و سواحل الشام، و ذكر ناصر خسرو أن بحر الإسكندرية يمتد حتى القيروان، و لعل ذلك يوضح لنا سبب تأصل التقاليد المغربية في جميع نواحي الحياة السكندرية الأدبية و المادية[3].

02 – في العهد الأيوبي:

عرف صلاح الدين بتقواه و ورعه و تعظيمه لشعائر الدين، و غيرته على الإسلام و الذود عن حمى أوطان المسلمين، فأمر بغلق الحانات بالإسكندرية و منع أهلها من تعاطي الخمور، و قد ساد الأمن مدينة الإسكندرية طيلة العهد الأيوبي، و أخمدت نار الفتنة التي كانت مستشرية في العصر الفاطمي باستثناء بعض المناوشات التي كانت تنشب مع تجار الإفرنج[4].

1- السيد عبد العزيز سالم، **التاريخ و المؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1999، ص 212.

2- أحمد بن عمر بن أنس العذري الدلائي (478/1085م)، **ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان**، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965، ص 95.

3- أبو عبيد عبد الله عبد العزيز البكري (ت487هـ/1097م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب**، تح: دي سلان، الجزائر،1911، ص 86.

4- تقي الدين المقريزي، (**السوك**)، المصدر السابق، ج 01، ص 45.

غير أن ابرز الأحداث الخطيرة التي عرفتها الإسكندرية هي الوباء الذي انتشر بمصر و الإسكندرية نتيجة المجاعة، و اشتد الغلاء و الوباء بمصر خلال سنتي (596-597هـ/1200-1201م)، فلجا الناس إلى المغرب و الحجاز و اليمن و الشام، و يذكر المؤرخون أن إمام جامع الإسكندرية صلى في يوم واحد على سبعمائة جنازة، و يؤكد هذه الأحداث المأساوية الرحالة عبد اللطيف البغدادي في كتابه (الإفادة والاعتبار)، فقد حضر هذه المحنة و كان معاصرا لها، إذ يقول:"و سمعنا من الثقات عن الإسكندرية أن الإمام صلى يوم الجمعة على سبعمائة جنازة... و إن طائفة كبيرة من أهلها تزيد على عشرين ألفا انتقلوا إلى برقة و أعمالها فعمروها و قطنوها"[1].

و قد ازدهر عمران الإسكندرية في عصر الأيوبيين ازدهارا ملحوظا نظرا للعناية الكبيرة التي أولاها السلاطين و الأمراء للمنشات، حيث أصبحت عامرة بالقصور و المتنزهات و البساتين التي أصبحت معلما من معالم الإسكندرية، و لقد عبر الرحالة المغاربة و المشارقة الذين زاروا الإسكندرية في تلك الفترة عن ازدهارها، فهذا ابن جبير يمتدح عمران الإسكندرية بقوله:"فأول ذلك حسن وضع البلد و اتساع مبانيه حتى إنا ما شاهدناه بلدا أوسع مسال منه و لا أعلى مبنى، و لا اعتق و لا احفل منه، و أسواقه في غاية من الاحتفال أيضا"[2]، كما وصفها صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار بقوله:"و الإسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها و حسن منظرها، و ارتفاع مبانيها و إتقانها، و سعة شوارعها و طرقاتها، و كان الناس يقصدون الإسكندرية لصيد السمك لكثرته بخليجها"[3].

و لقد صارت الإسكندرية في العصر الأيوبي سوقا هامة للتجارة العالمية،حيث كانت تتدفق إليها معظم منتجات الشرق من طيب و عطور و توابل و غير ذلك من منتجات المشرق، و نجم عن ازدهار التجارة في الإسكندرية أن كثر عدد التجار الإفرنج في ثغر الإسكندرية، فقد ذكر المقريزي انه اجتمع منهم نحو ثلاثة آلاف سنة (608هـ/1211م) في سلطنة الملك العادل، وقامت مختلف الدول بإقامة فنادق لها في الإسكندرية لتسهيل تعاملاتها التجارية من البلاد الأوربية والأسيوية والإفريقية، وكانت تجبى الرسوم من جميع السفن التي تمر بخليج الإسكندرية أو ترسو بموانئها[4].

1- تقي الدين المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات، القاهرة، 1427هـ - 2007م، ص 29.

2- محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت 614 هـ / 1217م)، **رحلة بن جبير**، دار صادر، بيروت، (د ت)، ص ص 40- 41.

3- كاتب مراكشي (ت القرن 06هـ)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 100.

4- السيد الباز العريني، **مصر في عصر الأيوبيين**، مطبعة الكيلاني، القاهرة، 1379هـ - 1960، ص 203.

03 – في العهد المملوكي:

شهدت الإسكندرية خلال عصر المماليك نشاطا اقتصاديا ملحوظا بحيث صارت تضاهي كبريات العواصم الإسلامية، و يعزى هذا الازدهار الاقتصادي إلى عدة عوامل أبرزها تميز موقعها، فقد احتلت الإسكندرية موقعا ممتازا من الناحية الاقتصادية، فهي تقع على شريط ساحلي ضيق يقع بين البحر المتوسط في الشمال وبحيرة مريوط في الجنوب، ويبرز من هذا الشريط الساحلي في البحر المتوسط بروز يابس يمثل جزيرة فاروس التي تشكل حاجزا طبيعيا للحماية من الأعاصير، و يربط بين الشريط الساحلي و الجزيرة لسان سمح بإقامة ميناءين (الميناء الشرقي و الميناء الغربي)[1]، كما أهلها هذا الموقع المتميز لتكون حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، و قد عبر عن ذلك ابن بطوطة حين نزل بها بقوله:"و هي الثغر المحروس والقطر المأنوس العجيبة الشأن الأصيلة البنيان ، بها ما شئت من التحسين والتحصين ومآثر دنيا ودين....الجامعة لمقرن المحاسن، لتوسطها بين المشرق والمغرب، فكل بديعة بها اجتلاؤها، و كل طرفة فإليها انتهاؤها"[2].

كما أن هجمات المغول المدمرة على دول المشرق الإسلامي منذ بداية القرن (07هـ/13م)، و ما نجم عنها من اضطرابات سياسية أدت إلى تدمير طرق التجارة الرئيسية المألوفة بين الشرق و الغرب و خاصة طريق الخليج الفارسي و الطريق البري الذي يمر بسمرقند، فتحول طريق التجارة إلى البحر الأحمر و مصر، فصارت تنقل البضائع من المشرق بحرا عبر البحر الأحمر على سواحل البلاد المصرية و منها الإسكندرية لتحمل إلى المغرب و دول أوربا، بأثمان باهظة حيث كانت تباع التوابل في أوربا الغربية بثمن يفوق أربعين مرة ثمنها في بلدان جنوب شرق آسيا، فكان مردود ذلك كبيرا على ازدهار التجارة بالإسكندرية و انعكس ذلك على جميع مناحي الحياة بها[3].

و احتل ميناء الإسكندرية المرتبة الأولى في مصر، بعد أن فقدت دمياط أهميتها الحربية و الاقتصادية نتيجة غزو الصليبيين لها سنة (647هـ/1249م)، و يذكر المقريزي حين يؤرخ لحوادث سنة (648هـ/1250م) أن المماليك البحرية قاموا بهدم أسوارها[4]، و في سنة (649هـ/1251م) قام الظاهر بيبرس بردم فم بحر دمياط لمنع دخول المراكب إليه، كما شهدت الإسكندرية عدة ظواهر من أهمها النمو السكاني و الهجرات، فلقد كانت الحقبة التي سبقت العصر المملوكي و التي خلالها المشرق الإسلامي لحملات المغول المدمرة و التي ذهبت ضحيتها أعداد كبيرة من المسلمين في كل من إيران و العراق و بلاد الشام فظهرت حركة طرد سكانية من إيران و العراق

1- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 78.

2- محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن بطوطة (ت779هـ/1377م)، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407هـ - 1987، ص 20.

3- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر و الشام في عهد الأيوبيين و المماليك**، ج 01، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، القاهرة، 2012، ص 526.

4- تقي الدين المقريزي، (**الخطط**)، المصدر السابق، ج 01، ص 293.

و الشام باتجاه الأراضي المصرية التي كانت تنعم آنذاك برخاء نسبي قياسا بغيرها، و ذلك نظرا لظهور دولة المماليك الفتية بها[1].

و قد أدى هذا إلى وجود تركيبة سكانية متميزة اختلفت فيها الأجناس، و نعم الناس فيها بالرخاء في ظل الأمن و الأمان الذي توفر في مصر المملوكية، و لم تكن الإسكندرية بمنأى عن ذلك، فقد اجتمع فيها الكثير من المهاجرين من المغرب الإسلامي، فقد ذكر صاحب بدائع الزهور في حوادث سنة (906هـ/1500م) انه وصلت الأخبار من جهة المغرب بان الفرنج قد استولوا على غرناطة التي هي دار ملك الأندلس و وضعوا في المسلمين السيف، فعملوا إلى الهجرة إلى ديار مصر امنين، و نتيجة لذلك عرفت الإسكندرية أجناس مختلفة من عرب و أتراك و المغاربة من المسلمين و غير المسلمين، و قد قسم المقريزي المجتمع السكندري إلى سبع طبقات إذ يقول:" اعلم حرسك الله بعينه التي لا تنام ، أن الناس بإقليم مصر في أجمله على سبعة أقسام:

القسم الأول: أهل الدولة.

القسم الثاني:أهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية.

القسم الثالث : الباعة ، وهم موسطو الحال من التجار ، ويقال لهم أصحاب البز.

القسم الرابع : أهل الفلح ، وهم أهل الزراعات والحرث ، وسكان القرى والريف.

القسم الخامس : الفقراء ، وهم جل الفقهاء وطلاب العلم.

القسم السادس : أرباب الصنائع والأجراء وأصحاب المهن.

القسم السابع : ذووا الحاجة والمسكنة ، وهم السائلون الذين يتكففون الناس ويعتمدون عل نفقاتهم"[2].

المبحث الثالث: الأوضاع العلمية:

01 – في العهد الفاطمي:

إن العهد الفاطمي العبيدي الذي حكم فيه الفاطميون مصر ما يزيد عن قرنين من الزمان تقهقرت فيه مكانة العلم والعلماء تقهقرا ملحوظا، بسبب الفكر الشيعي المتطرف، المعادي للمذاهب السنية نهج السلف الصالح المتبع لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، و سيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فعطلت خطب الجمعة في المساجد، و أغلقت مدارس أهل السنة، و اضطهد العلماء الربانيون، و الأئمة الأعلام[3].

1- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ /1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 29، تح: نخبة من المؤرخين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1423هـ / 2002م، ص 334.

2- أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت 930هـ/1544م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح: محمد مصطفى، ج 03، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ / 1963م، ص 448.

3- شهاب الدين النويري، المصدر السابق، ج 28، ص 346.

و كانت الإسكندرية أول مدن مصر الفاطمية خروجا عن المذهب الشيعي للدولة، و ظهرت بوادر ذلك أواخر عهد الفاطميين، حيث قام علماء سنيون بقيادة حركة الخروج عن سلطان الفاطميين بالإسكندرية و لعل من أشهرهم الإمام أبا بكر الطرطوشي[1] الذي نزل بالإسكندرية و استقر بها و بنى مدرسته (الأهلية) سنة (490هـ/1096م) و درَّس بها المذهب المالكي، لما شاهده من إقفار المساجد و المدارس من طلاب العلم و العلماء بسبب ملاحقة العبيديين لعلماء السنة، و تشريدهم و قتلهم، و نزل بها أيضا الحافظ السلفي (ت576هـ/1180م) و أبو الطاهر إسماعيل بن عوف (ت581هـ/1185م)[2].

و لقد كانت الإسكندرية أول مدن مصر الفاطمية تقطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله[3] و تقيم الجمعة في شتى مساجدها باسم الخليفة المستنجد بالله العباسي[4]، وهذا يدل على أصالة المذهب السني في الإسكندرية، و بالتالي نخلص إلى القول بان الإسكندرية تعد أول مدينة بنيت فيها مدرسة بمصر الفاطمية و هي مدرسة أبي بكر الطرطوشي، و قد استطاع وزيران سنيان من وزراء الدولة الفاطمية أن يبنيا مدرستين سنيتين بالإسكندرية، حظيتا بدعم وتوجيه حكومي هما:(المدرسة العوفية: و تسمى بالعادلية و بالرضوانية، فقد استصدر الوزير رضوان ولخشي سجلا من الخليفة الفاطمي الحافظ بإنشائها سنة:(532هـ/1137م)، و المدرسة السلفية: أقامها الوزير علي بن السلار سنة (544هـ/1149م)، وظلت المدرستان تؤديان دورهما طيلة العصر الأيوبي و المملوكي[5].

و كان العلم المدرس بهاتين المدرستين هو الحديث والفقه المالكي، و لا شك أنهما علمان مغايران لخط الدولة الفاطمية، فلما حل العهد الأيوبي انتشرت المدارس انتشارا واسعا كما سنفصله في المبحث الموالي، حيث أحصى محمد بن عبد الوهاب بن خزيمة عدد المدارس سنة (560هـ/1262م)، فبلغت 180 مدرسة[6].

1- **أبو بكر الطرطوشي:** هو أبوبكر محمد بن الوليد المالكي الطرطوشي، و طرطوشة هي آخر حد لبلاد المسلمين في شمال الأندلس، كان إماما عادلا زاهدا متقشفا، تحول إلى الثغر و تخرج به أئمة، حدَّث عنه السلفي و آخرون، توفي بثغر الإسكندرية في (520 هـ/1125م)، أنظر: بن أبي خلكان، المصدر السابق، مج 03، ص 393.

2- شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، ج 19، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/ 1993م، ص 490.

3- **العاضد لدين الله:** هو أبو محمد عبد الله يوسف بن الحافظ، بويع بالخلافة سنة (ت555هـ/1160م)، شديد التشيع، استنجد بنور الدين صاحب الشام عندما حاصره الصليبيون، و يعتبر آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، حيث أعلن صلاح الدين الأيوبي نهاية الحكم الفاطمي و بداية العهد الأيوبي، أنظر: الذهبي، (**سير أعلام النبلاء**)، المصدر السابق، ج 15، ص 208.

4- **المستنجد بالله:** هو المظفر يوسف بن المتقي لأمر الله، بويع له بالخلافة سنة (ت555هـ/1160م)، كان موسوما بالفهم الثاقب و الرأي الصائب و الذكاء الغالب، أنظر: نفسه، ج 20، ص 413.

5- تقي الدين المقريزي، (**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**)، المصدر السابق، ص 167.

6- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 81.

02 – في العهد الأيوبي:

لقد بلغ من اهتمام الأيوبيين بالنشاط العلمي بالإسكندرية أنهم حرصوا على تامين مساكن وحمامات لخدمة العلماء والمتعلمين بها حيث يذكر ابن جبير أن صلاح الدين أنشأ أثناء زيارته للإسكندرية ستة (557هـ/1162م) مدرسة جامعة بها عدد كبير من الغرباء الذين كانوا يفدون على المدينة من أصقاع متعددة لتلقي العلوم و الفنون المختلفة، و ألحق بها عددا من المساكن للطلبة، و الحمامات لخدمة المنتسبين إليها و مستوصفات لعلاج المرضى منهم، و قد عبر ابن جبير عند زيارته للإسكندرية عن ذلك بقوله: " و من مناقب هذا البلد و مفاخره العائد في الحقيقة إلى سلطانه : المدارس و المحارس الموضوعة فيه لأهل الطلب و التعبد يفيدون من الأقطار النائية فيلقي كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه، و مدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعليمه ... و اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ونصب لهم مارستانا لعلاج من يمرض منهم، و وكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم"[1].

و بالإضافة إلى ذلك أنشأ الأيوبيون بهذه المدارس مكتبات خاصة، زيادة عما كان بالمدينة من مكتبات عامة لتوسيع معارفهم، و خصوصا كتب أهل السنة للتأكد على سنية الدولة بعد أفول عصر الفاطميين، و قد ذكر ياقوت الحموي انه كان بالإسكندرية في عصر الأيوبيين دار كتب كبير تسمى " دار كتب الحكيم ارسطاليس"، و لقد كان من نتائج هذا الاهتمام الذي أبداه الأيوبيون، أن شهدت الإسكندرية في عصرهم حركة علمية دؤوبة كان قوامها كوكبة من علماء أجلاء لهم باع كبير في كافة فنون العلم و المعرفة منهم على سبيل المثال"ظافر بن القاسم بن منصور الاسكندراني المعروف بابن الحداد (ت529هـ/1135م)، له تصانيف عديدة[2] و أبو الطاهر احمد بن محمد بن احمد الأصفهاني السلفي (576هـ/1180)كان علما في الحديث[3] و إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عوف المالكي الاسكندراني (582هـ/1185م) برع في الفقه على المذهب المالكي وصنف تذكرة الأصول[4]، و منهم عبد الرحمان بن عبد المجيد بن إسماعيل الصفراوي (ت636هـ/1238م) شيخ المقرئين بالثغر، برع في القراءات يقول عنه السيوطي:"انتهت إليه رئاسة الإقراء والإفتاء ببلده"[5]، و عثمان بن أبي بكر بن يونس المصري المعروف بابن الحاجب (646هـ/1248م)، اشتغل بالفقه و العربية و القراءات، و برع فيها و أتقنها غاية الإتقان، و له تصانيف عديدة منها "أمالي الإيضاح في شرح المفصل" و "كافية ذوي الأرب في

1- ابن جبير، المصدر السابق، ص 15.

2- ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، ج 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص 364.

3- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 21، ص 05.

4- إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين**، ج 05، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ص 174.

5- جلال الدين السيوطي (ت911هـ/1505م)، **حسن المحاظرة في أخبار مصر و القاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 01، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1387هـ/1967م، ص 456.

معرفة كلام العرب" و غيرهم كثير[1]، و في مجال الطب كان هناك الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله (594هـ/1198م) من الأطباء المشهورين و من تصانيفه "الإرشاد لمصالح النفس و الأجساد" و غيره من المصنفات[2].

و لقد شهدت مدينة الإسكندرية في العصر الأيوبي وفود الكثير من الرحالة و المؤرخين و الجغرافيين و أمدونا بالكثير من المعلومات الهامة عنها فيما دونوه في كتبهم و رحلاتهم، و كان للكثير منهم دور بارز في إثراء الحياة العلمية بالمدينة و حلقة وصل لعلوم الشرق و الغرب، كذلك نقل الكثير من العلوم التي اشتهرت بالثغر كالفقه و الحديث إلى البلدان المختلفة، و من هؤلاء الرحالة أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي (ت611هـ/1214م) صاحب كتاب "الإشارات إلى معرفة الزيارات"، فقد كانت الإسكندرية واحدة من البلاد التي زارها الهروي و وصفها في كتابه، و منهم الرحالة الأندلسي ابن جبير، و منهم ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) السفار النحوي الإخباري، له تصانيف عدة منها "معجم البلدان" الذي ذكر فيه زيارته للإسكندرية و مشاهدته لكثير من معالمها، و غيرهم كثير[3].

و من المؤرخين كذلك عماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الأصفهاني (ت579هـ/1183م) و الذي تولى وزارة صلاح الدين الأيوبي، و كانت له مشاركات في فنون عديدة من فقه و أدب و شعر له مصنفات عديدة، زار الإسكندرية معية السلطان صلاح الدين الأيوبي و التقى بعالمها أبي الطاهر بن عوف، وسمع منه موطأ مالك رحمه الله، و منهم المؤرخ شمس الدين يوسف أبو المظفر سبط ابن الجوزي صاحب كتاب "تاريخ مرآة الزمان" الذي ذكر فيه انه دخل الإسكندرية سنة (641هـ/1243م)، و قال:" وجدتها كما قال الله تعالى : "ذات قرار ومعين"(المؤمنون الاية50) مغمورة بالعلماء والأولياء"[4].

هذه أهم ملامح الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر الأيوبي ، وسيتضح في دراستنا لعهد المماليك البحرية أن هناك تشابها كبيرا بين العهد الأيوبي و العهد المملوكي مما يؤكد على ثبات الحركة العلمية في الإسكندرية لعدة قرون من الزمان ، وبالتالي يؤكد أصالتها ، ورسوخ المبادئ التي قامت عليها خصوصا وان الدولتين أسهمتا بشكل ملحوظ في دعم المذهب السني في مصر و الشام و غيرها من البلاد التي خضعت لها.

1- ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت 799هـ/1396م)، **الدباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج 02، دار التراث العربي، القاهرة، 1972، ص 86.

2- حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، تح: محمد شرف الدين يالتقايا، ج 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941، ص 114.

3- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، تر: عبد الحليم النجار و رمضان عبد التواب، ج 05، دار المعارف، ط 05، القاهرة، 1977، ص 220.

4- شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 02، بيروت، 1404 هـ/1990م، ص 60.

03 – في العهد المملوكي:

من الضرورة بمكان قبل أن نشرع في دراسة وسائل الحياة العلمية في الإسكندرية أن نتعرف على الحالة العلمية بها و ما يرتبط بها من حياة دينية و التي تتمحور في جوانب عدة من القضاء و المظالم و الحسبة و الخطابة و التدريس، و الاتجاهات العقدية و التصوف و هذا ما يوضح لنا صلة الربط بين الحياة العلمية و الدينية في الإسكندرية أكثر من غيرها ، و لهذا فان الحياة العلمية و الأوضاع الدينية اشتركتا في كثير من الأمور ، فمثلا عند النظر إلى العوامل التي أدت إلى تنشيط الحياة الدينية في الإسكندرية في العهد المملوكي نجدها لا تختلف في مجملها عن العوامل التي أدت إلى تنشيط الحياة العلمية، و من ذلك إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، و رعاية السلاطين للعلم، و نزول الأسر العلمية بالثغر ، و كثرة موارد الإنفاق على التعليم و الاتجاه بالثغر، و يضاف إلى ذلك أيضا كثرة دور العلم ، من المساجد و الكتاتيب، و المدارس النظامية، و دور العلم و الأربطة و الخانقاوات،و الرحلات العلمية و المناظرات و رحلات الحج حيث أن الإسكندرية طريق للحاج المغربي، و ممر للرحالة المغاربة و الأندلسيين[1].

كما اتضح لنا من خلال دراستنا للجانب العلمي لكل من العهود الثلاثة انه هناك تشابها كبيرا بين العهد الأيوبي وعهد المماليك ، ولاسيما عهد المماليك البحرية مما يؤكد على ثبات الحركة العلمية في الإسكندرية لعدة قرون من الزمان، وهذا بدوره يؤكد أصالتها ، ورسوخ المبادئ التي قامت عليها وبالأخص أن الدولتين أسهمتا بشكل ملحوظ في دعم المذهب السني في مصر والشام وغيرها من البلاد التي خضعت لهما.

1- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 138.

الفصل الثاني

المؤسسات العلمية في الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة

المبحث الأول: المساجد و الجوامع:

أ- في العهد الفاطمي:

بـ – في العهد الأيوبي:

جـ – في العهد المملوكي:

ثانيا: المبحث الثاني: المدارس و المكتبات:

01- المدارس النظامية:

أ – في العهد الفاطمي:

بـ – في العهد الأيوبي:

جـ – في العهد المملوكي:

02- المكتبات:

أ – في العهد الفاطمي:

بـ – في العهد الأيوبي:

جـ – في العهد المملوكي:

– المبحث الثالث: الأربطة والزوايا:

01- الأربطة

02- الزوايا

إن المؤسسات العلمية المالكية في الإسكندرية خلال القرنين الآنفي الذكر اضطلعت بدور رئيسي في نشر العلم و ترسيخ المذهب المالكي، فكانت مراكز إشعاع و توجي في مختلف المجالات و التي سنسلط عليها الأضواء في المباحث الآتية:

المبحث الأول: المساجد و الجوامع:

لم يقتصر دور المسجد في الإسلام على مجرد أداء الصلوات الخمس، بل كان مؤسسة تربوية اجتماعية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، و نظراً لأهمية المسجد، و دوره الريادي و القيادي في حياة الأمة، فإن أول لبنة لبناء صرح الدولة الإسلامية وضعها النبي صلى الله عليه و سلم بحلوله المدينة المنورة هي شروعه في بناء أول مسجد أسس على التقوى من أول يوم، لأداء الشعائر الدينية، و بناء المجتمع الجديد، وفق منهج الله عز وجل، ليشمل جميع مناحي الحياة فكرياً و عقائديا و تربوياً و اجتماعياً و سياسياً[1].

أ- في العهد الفاطمي:

بدأت الإسكندرية تتصل بالمغرب اتصالا وثيقاً منذ أوائل القرن (4هـ/10م) حين نجحت الدولة الفاطمية في إقامة ملك جديد لها على أنقاض ملك الأغالبة في إفريقية (تونس) و قد كانت الإسكندرية الهدف الأول لحملات الفاطميين الأولى على مصر برّاً و بحراً، و بها نزل جنود و أساطيل الحملة الفاطمية الرابعة التي نجحت في دخول مصر و الهيمنة عليها و منذ ذلك الحين أصبحت مصر مقر الخلافة الفاطمية، كما أصبحت الإسكندرية مقر أسطول هذه الخلافة، و للفاطميين عناية كبيرة بالأسطول منذ قيام دولتهم في إفريقيا، و هي بعد هذا كله الطريق منشأ ملكهم في المغرب الذي أصبح ولاية تابعة لمصر[2].

فلا عجب إذن أن يعتني الفاطميون بالإسكندرية عناية خاصة، فأقاموا بها منشآت كثيرة و أهم هذه المنشآت مما ذكره المؤرخون المساجد نذكر منها ما يلي:

- جامع العطارين:

كان يقوم في موضعه مسجد قديم أقيم في فجر الإسلام على كنيسة القديس أثناسيوس و قد أصيب هذا المسجد القديم بأضرار فادحة في أوائل العصر الفاطمي، إذ تهدمت بعض جدرانه

1- محمد بن عبد الوهاب، **مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1379هـ/ 1959م، ص 94.
2- جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 41.

و تهاوى سقفه، فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى الإسكندرية سنة (477هـ/1084م) و عاين ما آل إليه بناء المسجد أمر بتجديده و ترميمه، و انفق عليه من أموال المصادرات أي الأموال التي أغرم بها الثائرين من أهل الإسكندرية، و يؤكد ما ذكر بها النص الذي تحمله اللوحة الرخامية التذكارية التي تبثها بدر الجمالي في الجامع لتأريخ هذا الإنجاز، و التي لا تزال موجودة في الجمع إلى اليوم و نصبها:"بسم الله الرحمان الرحيم { إنما يعمر مساجد الله من امن بالله و اليوم الآخر و أقام الصلواة و آتى الزكواة و لم يخش إلا الله } التوبة:18، ممّا أمر بإنشائه السيد الأجل، أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين، و هادي دعاة المؤمنين، أبو نجم بدر المستنصرين عند حلول ركابه بثغر الإسكندرية و مشاهدته هذا الجامع خرابا، فرأى بحسن ولائه و دينه تجديده، زلفى إلى الله تعالى و ذلك في ربيع الأول سنة سبع و سبعين و أربع مائة هجري"[1].

و عرف هذا الجامع بجامع الجيوشي نسبة إلى أمير الجيوش، بدر الجمالي، وبجامع العطارين لسبب وجوده في سوق العطارين، و قد أشار المقريزي في مخطوطة اتّعاظ الحنفاء، إلى بناء بدر الجمالي لهذا الجامع أثناء زيارته لمدينة الإسكندرية سنة (477هـ/1084م) ، و قال إن البناء فرغ منه في شهر ربيع الأول، و أقيمت فيه الجمعة، و استمر الأمر على ذلك إلى أن زالت دولة الفاطميين على يد صلاح الدين فأمر ببناء جامع جديد، و نقل إليه الخطبة من جامع العطارين[2].

- مسجد أبي بكر الطرطوشي[3]:

بناه بعد سنة (510هـ/1116م) في خلافة الآمر الفاطمي، و وزارة المأمون البطائحي، انفرد بذكر هذا المسجد المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في النسخة الخطية الكاملة الوحيدة في كتابه اتعاظ الحنفاء، التي توجد في مكتبة (طوب قبوسراى) باسطنبول، فقد ذكر فيها أن الطرطوشي انتقل من الإسكندرية إلى القاهرة سنة (510هـ/1116م) لزيارة الوزير المأمون البطائحي، ليقدم له كتابه الذي ألفه باسمه و كتاب سراج الملوك، فأكرمه المأمون و خلع عليه و في ذي الحجة من هذه

1- حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة**، ج 01، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1993، ص 67.

2- جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 02، ص 131.

3- **أبو بكر الطرطوشي**: ولد في بلدة طرطوشة بالأندلس سنة 451هـ، تلقى العلم بها و في سرقوسطة ثم رحل إلى المشرق سنة 476هـ، و خل بغداد و البصرة و تفقه على يد شيوخها، ثم استقر به المقام بالإسكندرية و ألف كتابه سراج الملوك، كان عالما زاهدا، توفي في 520هـ، أنظر: أبو القاسم بن بشكوال (ت578هـ/1183م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهائهم و أدبائهم**، تح: بشار عواد معروف، مج 02، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010، ص 210.

السنة، حضر الفقيه أبو بكر لوداع الوزير، و عرفه ما عزم عليه من إنشاء مسجد جامع بظاهر الثغر على البحر، فكتب إلى ابن حديد (قاضي الإسكندرية) بموافقة الفقيه على موضع يتخيره و أن يبالغ في إتقانه و سرعة إنجازه، وتكون النفقة عليه من مال ديوانه، و توجه فبنى المسجد المذكور عند باب البحر، و هذا المسجد من المساجد التي زالت و عفت آثارها[1].

- مسجد المؤتمن المأمون البطائحي:

و بعد هذه السنة بقليل بني مسجد آخر هام، بناه المؤتمن سلطان الملوك نظام الدين أبو تراب حيدرة أخو الوزير المأمون البطائحي في المحجة الكبرى[2]، و هي ما نرجح أن تكون الشارع الأكبر الممتد من باب رشيد إلى باب البحر، و قد بنى هذا المسجد في سنة (510هـ/1117م) ، أو ما بعدها ففي تلك السنة عُين المؤتمن والياً على الإسكندرية و الأعمال البحرية، و قد ذكر المقريزي انه بنى هذا المسجد أثناء مقامه في هذا الثغر[3].

بـ – في العهد الأيوبي:

- مسجد الشيخ القباري:

هو أبو القاسم محمد منصور بن يحي القباري السكندري المالكي، ولد بالإسكندرية سنة (587هـ/1191م) و توفي بها سنة (662هـ/1264م)، و كان زاهداً ورعاً تقياً، يقول عنه ابن عزم:"القباري الإسكندراني الإمام الرباني ... و كأنه له بستان يعمل به و يبلغ منه ما يكفي معاشه"[4]، و قد ولد بمدينة الإسكندرية، ونشأ وترعرع بها، ومات ودفن بظاهرها، ولم يكن له بها صاحبة ولا ولد، إذ لم يتزوج طيلة حياته، و كان القباري على حد قول الأستاذ زيتون واحداً من أهل الله لا إفراط و لا تفريط، فقد كان يعيش في هذه الدنيا غير ناس نصيبه منها، يتعبد الله في عمله بيده، و في معاملته مع الناس على هدى و بصيرة من أمر دينه[5].

1- سعاد ماهر محمد، **مساجد مصر و أولياؤها الصالحون**، ج 01، مطابع الأهرام، القاهرة، ص 332.

2-السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 229.

3- تقي الدين المقريزي، (**إتعاظ الحنفاء**)، **المصدر السابق**، ص 125.

4- محمد ابن العماد الحنبلي(1089هـ / 1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ج 05، دار بن كثير، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 193.

5- نفسه،ص 198.

هذه بعض من الجوانب حياة الشيخ القباري الخاصة، و قد ولد في عصر زاخر بالانتفاضات الروحية التي أثارها صلاح الدين بجهاده ضد الصليبين، ثم زامن عصر الملك الأيوبي، الذي امتاز بنهضة علمية مزدهرة و عايش في شيخوخته نهاية دولة بني أيوب، و قيام دولة المماليك البحرية، كما شهد انتصار المماليك على التتار في موقعه عين جالوت، و برغم هذه الأعمال و الانتصارات الجليلة التي أحرزتها مصر في عهدي دولتي الأيوبيين و المماليك فإنه لم يكن راضياً عن تصرفات ملوكها حيال الرعية كل الرضاَ، و توفي الشيخ أبو القاسم القباري رحمه الله سنة (662هـ/1264م)، عن خمس وسبعين سنة و دفن في بستانه، و أقيم على ضريحه مسجد صغير قام بتوسعته محمد سعيد باشا في القرن التاسع عشر، ثم توالت عليه أشغال التجديد و التعمير في القرن العشرين[1].

و يتكون المسجد من ساحة كبيرة للصلاة تبلغ مساحتها 252 متراً مربعاً يحيط بها سور مرتفع يبلغ ارتفاعه ستة أمتار مبني بالحجر المصقول، و يحيط بهذه الساحة من جانبها مصليان، و تقع مئذنة الجامع في الجهة المقابلة لحائط القبلة، و ترجع المئذنة إلى العمارة التي قام بها محمد سعيد باشا في القرن التاسع عشر و يجاور المئذنة ضريح الشيخ القباري الذي يقال أنه أقيم على الخلوة التي كانت بالبستان، و التي دفن فيها الشيخ، و الضريح داخل حجرة تغطيها قبة ترجع إلى عمارة القرن التاسع عشر[2].

- جامع الإسكندرية:

و هو الذي تصدر به للإقراء الإمام أبو أحمد عبد الكريم بن أبي بكر عتيق بن عبد الملك الإسكندراني شيخ الإقراء بالإسكندرية (616هـ/1219م) ، و كان ماهراً في القراءات، و نجب عليه جماعة[3].

1- محمد زيتون، **القباري زاهد الإسكندرية**، دار المعارف، القاهرة، 1968، ص 35.

2- سعاد ماهر محمد، المرجع السابق، ج 02، ص 299.

3- زكي الدين أبو محمد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت656هـ/1258م)، **التكملة لوفيات النقلة**، تح: بشار عواد معروف، ج 01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1984م، ص 484.

- مسجد النخلة:

للإمام المقرئ المحدث أبي الفضل جعفر بن علي هبة الله الهمذاني الإسكندراني(636هـ/1239م) تولى إمامته والإقراء به و يعرف هذا المسجد بمسجد النخلة[1]، و يرجح موقعه بالإسكندرية من خلال سيرة هذا الإمام بالإضافة إلى ثلاثة مساجد لم تذكر المصادر التاريخية تسميتها، و لا أمكنة تواجدها لكون أئمتها مالكين، أحدها جامع تولى الخطابة به القاضي أبو محمد الهلالي الريغي(ت 645هـ/1247م) طيلة أربعين سنة إلى جانب توليه القضاء[2]، و كذلك الغمام قاضي الإسكندرية أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد السلام بن عتيق السفاقسي (ت648هـ/1250م) خطب بالإسكندرية، و يرجح أن هذا هو جامع الإسكندرية التي سبقت الإشارة إليه[3].

و المسجد الثاني هو الذي أمّ به أبو المنصور ظافر بن طاهر الأزدي، الإسكندراني (ت642هـ/1244م) و يمكن أن يكون هذا المسجد بالإسكندرية نظرا لكون نشاطه بها، فأضيف إلى اسمه لفظ الإسكندراني[4]، و الثالث أمّ به أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان المرادي الإسكندراني (653هـ/1255م)، و يرجح كونه من مساجد الإسكندرية للتعليل الآنف الذكر لنسبه الاسكندراني لإمامه[5].

و نشير في هذا الصدد إلى المسجد الذي بناه صلاح الدين الأيوبي، و نقل إليه الخطبة من جامع العطارين و قد تصدر به أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي الإمامة و الخطابة (ت642هـ/1244م)[6]، و لم تمدنا المصادر التاريخية عن مكانه و وصفه، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المساجد قد ساهمت مساهمة فعالة في إثراء الحركة العلمية المالكية فكانت بيوتا لأداء الشعائر الدينية، والاضطلاع بمهام التدريس حتى بعد ظهور المدارس وانتشارها على أوسع نطاق.

1- محمد بن علي ابن الجزري(ت 833هـ/1429م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تح: ج برجستراسر، ج 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1437هـ/2006م، ص 176.

2- فوزي رمضاني، **دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي (567- 648هـ/1171-1250م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2010، ص 29.

3- شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 47، ص 401.

4- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، ج 16، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/ 2000م، ص 304.

5- فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص 30.

6- نفسه، ص 33.

جـ – في العهد المملوكي:

لم يحدث تغيير كبير في خصائص المساجد في الدولة المملوكية عنها في عصور الإسلام السابقة، فكانت المساجد تؤدي دورها العلمي من خلال الخطابة و حلقات الدروس، و تؤدّي دورها الاجتماعي التربوي كذلك كما أنها لم تغفل الدور الجهادي لا سيما و أن الدولة المملوكية دولة جهادية[1]، أما بالنسبة لدور المساجد في الحركة العلمية، فقد كانت المساجد و المدارس متعاضدة في تدريس علوم الشريعة، حتى أن بعض المدارس كانت تقام بها الصلوات الخمس و صلاة الجمعة، مع بعض الفوارق بين دور المسجد العلمي و دور المدارس نورد بعضها في الآتي:

– كانت الدروس بالمساجد مفتوحة للجميع حيث يلقي الشيخ درسه على الطلاب دون تقيُّد بعدد معيّن في حين أن عدد طلاب المدرسة لا يتجاوز ما قرره واقف المدرسة.

– كانت حلقات العلم بالمساجد مفتوحة للجميع، و بإمكان الطالب أن ينتقل من حلقة إلى أخرى وفق رغبته إذ لم يكن يشترط تجانس المستوى و لا إجبارية الحضور[2].

و نظراً لعناية سلاطين المماليك بإنشاء العمائر الدينية و في مقدمتها المساجد فقد شهدت مدينة الإسكندرية في عهدهم إنشاء أعداد كبيرة من المساجد، و قد عبر عنها ابن جبير بقوله:"أكثر بلاد الله مساجد حتى إن تقدير الناس لها يطفّف، فمنهم المكثر و المقل، فالمكثر ينتهي في تقديره إلى اثني عشر ألف مسجد و المقل دون ذلك لا ينضبط بعدد، فمنهم من يقول ثمانية آلاف و منهم من يقول غير ذلك، و بالجملة فهي كثيرة جدا"[3]، كما تحدث الهروي عن ذلك بقوله:"و بها من المساجد و المعابد ما لم أره بغيرها، و ذكر لي ابن منقذ أن فيها اثني عشر ألف مسجد"[4]، و يذكر محمد بن عبد الوهاب بن خزيمة الذي أقام بالإسكندرية نحو أربعين سنة أن بها ثمان مائة مسجد منها مائة و تسعون للخطبة، و هذا العدد المشار إليه في المقولة الآنفة الذكر دليل على نشاط الحركة العلمية بالإسكندرية في هذا العهد[5].

1– أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 272.

2– محمد أمين، **الأوقاف و الحياة الاجتماعية في مصر** (648-923 هـ/ 1250-1517م)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 247..

3– ابن جبير، المصدر السابق، ص 47.

4– جمال الدين الشيال، المرجع السابق، ص 81.

5– أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 281.

و يأتي في الطليعة هذه المساجد، جامعان يعود تاريخ بنائهما إلى ما قبل العهد المملوكي و هما الجامع الغربي و الجامع الشرقي:

- الجامع الغربي(المسجد العتيق):

يعد أقدم مساجد الإسكندرية إذ يعود تاريخ إنشائه إلى الفتح الإسلامي للإسكندرية، فقد أقامه القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه غربي المدينة بمسافة غير بعيدة عن البحر، و قد ذكره القلقشندي في نسخة تكليف بالخطابة جاء فيها:"و أما الجامع الغربي فهو أجل جوامع الإسكندرية قدراً، و أعظمها صيتاً، و أسيرها في الآفاق ذكراً، يحضر الجمعة فيه أهل المشرق و المغرب، و يُلم بخطبته سكان الوهاد و الهضب"[1].

و هذا الحشد الكبير الذي يجتمع لصلاة الجمعة له دلالة حضارية و علمية فالدلالة الحضارية تتجلى في مستوى فن العمارة الهندسية بالإسكندرية، فإن المسجد الذي يتسع لأهل المشرق و المغرب و سكان الوهاد والهضب لا بد أن يكون ضخماً و أعمدته عالية، بحيث لا يحدث اختناق، و قد ورد وصفه في كتب الرحالة بأنه بناء ضخم مربع الشكل، يشتمل على أربعة إيوانات، و يتوسط صحن المسجد قبة للوضوء يحيط بها أحواض الزهور، و تتكون مئذنة من ثلاث طوابق، و يعلو جدران المسجد شرفات مسننة الشكل، تشبه شرفات الجامع الأزهر، و قد أطلق عليه جامع الألف العمود كما عرف باسم المسجد العتيق لكونه أوّل المساجد الجماعة التي أقيمت بالثغر مع الفتح الإسلامي للمدينة[2].

و قد ظل هذا المسجد موضع العناية من قبل الأيوبيين و المماليك، فقد زاد في مساحته السلطان صلاح الدين الأيوبي زيادة كبيرة، و صلى فيه السلطان المملوكي الأشرف شعبان الجمعة إبان زيارته للمدينة، و تفقده لأنحائها بعد واقعة " القبارصة" و أمر بترميمه عام (772هـ/1370م) و أنجز هذه المهمة الشيخ معين الدين ابن الشيخ بهاء الدين عبد الله الدماميني ناظر الإسكندرية، و قد ظل هذا الجامع الغربي يؤدي رسالته العلمية طيلة العهد المملوكي، و قد تولى الخطابة فيه ثلة العلماء، و من أشهرهم ناصر الدين ابن المنير قاضي الإسكندرية، و ممن تولى الخطابة بهذا المسجد أيضاً شرف الدين

1- القلقشندي، المصدر السابق، ج 11، ص 418.

2- السيد عبد العزيز سالم، (**تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي**)، المرجع السابق، ص 472.

محمد الدماميني، و الزين عبد الرحمان الفكيري، و من بعده ابنه الشهاب أحمد (ت 870هـ/1465م)[1].

- الجامع الشرقي:

و الذي يطلق عليه جامع العطارين لوجوده بحي العطارين، و يرجع تاريخ بنائه إلى الفتح الإسلامي أيضاً، و لكنه لم يكن جامعاً إلاّ في عهد الوزير الفاطمي أمير الجيوش بدر الدين الجمالي وزير الخليفة الفاطمي المستنصر، حيث أمر بإعادة بنائه، و منذ ذلك الحين أقيمت فيه الخطبة و صار جامعاً، و في عهد صلاح الدين أوقف الخطبة فيه، و لعل مرد ذلك لعدم وجود الحاجة و اكتفى بالجامع الغربي و في العهد المملوكي، أعيدت إليه خطبة الجمعة زمن الناصر محمد بن قلاوون، وعين القاضي فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين الشافعي (ت761هـ/1360م) خطيباً له، و قد قام على خدمته ثلّة من علماء الإسكندرية، و من هؤلاء قاضي القضاة كمال الدين التنسي، فقد أولاه عناية فائقة تفقداً و ترميما و تجديدا[2].

و وصف بأنه منتظم الشكل، تقوم على كل ركن من أركانه الأربعة مئذنة مربعة الشكل يحتوي على فناء داخلي مكشوف بها حوض للوضوء زخرفت جدرانه بزخارف جميلة على قطع الرخام و الجرانيت، و مطعمة بالفسيفساء و ممن تولى الخطابة و الإمامة و التدريس فيه الفقيه ناصر الدين ابن المنير، و كذلك تولى شيخ القراءات المكين الأسمر تعليم القرآن فيه[3].

- مسجد سوق العجم:

ذكر التجيبي أنه قرأ به عن التاج الغرافي كتاب ثواب قضاء حوائج الإخوان وما جاء في إغاثة اللهفان للحافظ أبي الغنائم سنة (696هـ/1258م).

- مسجد أبي الدرداء رضي الله عنه:

قرأ فيه التجيبي كتاب نهاية الرائض في خلاصة الفرائض على مؤلفه جمال الدين الصودي سنة (696هـ/1296م).

1- السيد عبد العزيز سالم، (**تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي**)، المرجع السابق، ص 472.

2- تقي الدين المقريزي، (**السلوك لمعرفة دول الملوك**)، ج 02، المصدر السابق، ص 321.

3- السيد عبد العزيز سالم، (**تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي**)، المرجع السابق، ص 471.

- مسجد قداح:

ورد ذكره عرضاً في ترجمة الغمام زين الدين محمد بن أحمد بن يوسف الصنهاجي (ت717هـ/1317م) إمام القراءات بالثغر، فقد كان يؤم المصلين بذلك المسجد لاشك فيه أن إماماً بهذه الصفة لابد أن تكون حلقاته أو بعض حلقاته العلمية بالمسجد الذي يؤم الناس فيه[1].

- جامع الأمير قجماس الإسحاقي:

ذكره السخاوي في كتابه: " الضوء اللامع" كتاب تقام به صلاة الجمعة، و قد أقام الأمير بجوار الجامع بستاناً و نزلاً للغرباء.

- جامع السواري:

و يقع خارج باب السدرة على مقرب من عمود السواري المشهور، و قد قام الأمير نجماس بتجديده و إقامة الشعائر الدينية به إبّان ولايته على الإسكندرية ورد ذكره في كتاب الضوء اللامع للسيخاوي[2].

- جامع صفوان:

ذكره السخاوي في الضوء اللامع، في سياق حديثه عن الشيخ محمد بن عوض الشمس أبي عبد الله السكندري المالكي (ت856هـ/1452م)، و قد كرر السخاوي ذكره عند ترجمته لفقهاء آخرين[3].

- مسجد المنار:

و يعود تاريخ إنشائه إلى عهد الدولة الطولونية بمصر، فقد قام الأمير أحمد بن طولون ببناء قبة من الخشب في أعلى المنار ليصلي بها المرابطون بالمنار، ثم ما لبثت أن تهدمت بفعل الرياح، فبنى الملك الكامل الأيوبي مكانها مسجداً في أيام الظاهر بيبرس تداعى بعض أركانها و سقط، فأمر الظاهر ببناء ما تهدم سنة (673هـ1273م) و في سنة (702هـ/1302م) تهدم المسجد نتيجة زلزال قوي ضرب الإسكندرية و أعيد بناؤه على يد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير سنة (703هـ/1303م)، و يذكر المقريزي أنه شاهده بنفسه، مما يؤكد أنه ظل قائماً حتى منتصف القرن

1- ا بن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 06، ص 46

2- شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ/1496م)، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، ج 06، تح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير و محمد بن عبد الله بن فهيد، دار المناهج، الرياض، 1426هـ/2005م، ص 213.

3 - نفسه، ج 03، ص 34.

التاسع الهجري ثم بعد ذلك زال بفعل الزلازل و الإهمال و عدم الترميم حتى أقام على أرضيته قايتباي المحمودي قلعته المشهورة[1].

- مسجد قايتباي بداخل القلعة:

أنشأه السلطان المملوكي قايتباي المحمودي داخل القلعة حين قام ببنائها على أنقاض المنار القديم و المسجد عبارة عن صحن مركزي مربع الشكل، يحيط به أربع إيوانات صغيرة مزدانة بزخارف هندسية و نباتية، و تكسو أرضية الصحن فسيفساء متعددة الألوان، و ترتفع قاعة الصلاة قليلا عن أرضية الصحن[2].

المبحث الثاني: المدارس و المكتبات:

01 – المدارس النظامية:

تعد المدارس احد أهّم المؤسسات التعليمية الحضارية الإسلامية، و هي كما عرفها أحمد فكري:"المسجد الجامع الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكن فريق مختار من الفقهاء أو الطلاب و رتب لتدريسهم فيه مدرسون بأجر معلوم و وفرت للجميع فيه سبل البحث و الدراسة و المعيشة و أجريت عليم الجرايات الوافرة"، و قد عرفت الإسكندرية المدارس السنية النظامية قبل العهد المملوكي فقد ظهر في العصر الفاطمي مدرسة الطرطوشي، و التي أنشأها أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي عندما استقر بالإسكندرية سنة (490هـ/1097م)، و درّس بها الفقه على المذهب المالكي، و المدرسة السلفية و الحافظية، و قد استمرت حتى العصر المملوكي و الذي يعدّ في حقيقته امتداداً للعصر الأيوبي عصر انتشار المدارس في الأراضي المصرية، فقد ورث سلاطين مماليك عن الأيوبيين الاهتمام بإنشاء المدارس، و التي وصف ابن بطوطة كثرتها بمصر بقوله:" و لا يحيط أحد بحصرها لكثرتها"، و لقد حلفت الإسكندرية بالعديد من المدارس النظامية المختلفة، و التي لا تختلف في مجملها عن غيرها من مدارس المدن المصرية الأخرى، و كان التخطيط العمراني للمدارس آنذاك على ثلاثة أنواع أساسية[3]:

1- جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ج 01، ص 90.

2- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، 465.

3- ابن فرحون، المصدر السابق، ج 02، 245.

أولها التخطيط ذو النظام الإيواني، و هو عبارة عن صحن مكشوف أو مغطى، يحيط به أربعة إيوانات أكبرها و أعمقها إيوان القبلة، و قد تكون إيوانين، و أما التخطيط الثاني فهو ذو الأروقة و ربما توسط سقف الرواق منها قبّة ترتفع عن بقية السقف، و قد فتحت بأضلاعها عدة نوافذ للتهوئة و الإضاءة، كما زوّد بعضها بمئذنة و منبر و دكة المبلغ أو المؤذن، و خلوة الخطيب و كرسيّ كما زود بعضها بصومعات كالمدرسة النابلسية بالإسكندرية، فقد ذكر النّويري أن لهذه المدرسة صومعة اختبأ بأعلاها جمال الدين ابن النابلسي، فصعد إليها جماعة من القبارصة و قذفوه من أعلاها[1].

أمّا النوع الثالث من أنواع التخطيط في هذه فهو ذو الحجرة الواحدة أو عدد من الحجرات، و هو من أبسط و أقدم الأساليب المعمارية التي استعملها الإنسان في بناء منشآته، بالإضافة إلى استمراريتها و شيوعها و قد حظيت مدارس الإسكندرية بمزيد من العناية من قبل منشئيها، حيث زينت جدرانها و مداخلها بالنقوش و الزخارف، فقد ذكر النويري عن المدرسة الخلاصية بالإسكندرية أنه كان لها باب ذو حلقتين من النحاس المخرم و بيت من النحاس الأندلسي المطعم بالفضة و انه لم يُر لمثلها حسن صنعة و دقة تخريم، و قد تعرضت هذه المدرسة لاعتداء القبارصة سنة (767هـ/1365م) فخلعوا الحلقتين و استولوا على كرسي الربعة و بيتها[2].

و زخرفت أروقة مدارسها بالفسيفساء بدقة و مهارة، و يلاحظ أن الفسيفساء خاصية أخرى بالإضافة للناحية الجمالية، و هي أنها لا تتأثر بالرطوبة العالية بسبب موقع الثغر على حافة البحر، و قد أشار إلى ذلك غرس الدين الخليل لقوله:"أن مدارسها كانت مرخمة و منقوشة، و لم يقتصر دور المدارس على الناحية العلمية فحسب بل أدت كثير من المدارس دوراً إيجابياً في المجال الاجتماعي فقد كان يلحق بالمدارس وحدات سكنية مخصصة للمدرّسين و الطلبة الغرباء على وجه الخصوص كما اشتملت بعض المدارس على عيادات للعلاج و كان الطلاب و غيرهم يتلقون فيها العلاج و التي ظلت موجودة حتى العهد المملوكي[3].

1- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 282.

2- نفسه، ص 284.

3- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 295.

أ- في العهد الفاطمي:

أقيمت في العهد الفاطمي بالإسكندرية مدرستان سنيتان و هما: المدرسة السلفية و المدرسة الحافظية (العوفيه):

- المدرسة السلفية:

نسبة إلى الشيخ السلفي، و هو الحافظ صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد الأصفهاني، تلقى علومه الأولى في مدينة أصفهان، و اتجه مبكراً إلى علم الحديث، فسمع من كبار علماء أصفهان و غادر مسقط رأسه أصفهان، و ارتحل إلى بغداد طلباً للعلم على علمائها و فقهائها آنذاك، فتتلمذ على معظمهم، و درس الفقه الشافعي لكونه شافعي المذهب، و درس اللغة العربية على الخطيب أبي زكريا يحي بن علي التبريزي اللغوي، و سمع الحديث من محدثي بغداد آنذاك[1].

و بعد أن قضى السلفي قرابة أربع سنوات ببغداد ارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، والتقى بعلماء الحديث مثل الحسين بن علي الطبري بمكة، و أبي الفرج القزويني بالمدينة المنورة، ثم ارتحل إلى المشرق، و في زيارته لمدينة همذان التقى بحجة الإسلام الشيخ أبي حامد الغزالي، و في ذلك يقول السلفي:"حضرت مجلس و عظه بهمذان، و كنا في رباط واحد، و بيننا ألفة و تودد و كان أذكى خلق الله، و أقدرهم على الكلام في الفقه و غيره"[2]، ثم اتجه إلى دمشق، و سمع من لا يحصى من علمائها كما يقول الحافظ بن عساكر معاصره، و حدث بدمشق فسمع منه أصحابنا و في سنة (511هـ/1117م) اتجه إلى الإسكندرية و هو في السادسة و الثلاثين من عمره، و كان كما وصفه ابن السمعاني ثقة و ورع، متقن مثبت، حافظ فهم ، كثير الحديث، حسن الفهم و البصيرة فيه، فاتخذ الإسكندرية دار قراره و تزوج امرأة من نسائها ذات يسار من بيت علم، و اشتغل السلفي منذ نزوله بالإسكندرية بالتدريس و الحديث بصفة خاصة، و لم يلبث أن أقبل عليه الطلبة من كل فج عميق[3].

و في سنة (540هـ/1145م) ولّي حكم الإسكندرية أبو الحسن علي بن سلار، وكان سنياً شافعي المذهب، لهذا قرب إليه الشيخ السلفي و أكرمه و أنشأ له سنة (544هـ/1149م)مدرسة

1- سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 86.

2- نفسه، ص 87.

3- جمال الدين الشيال، **أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001، ص 137.

خاصة عرفت بالمدرسة السلفية نسبة اليه، فهي بذلك ثاني مدرسة بالإسكندرية و مصر عامة بعد المدرسة الحافظية[1]، و عمل السلفي أستاذاً بالمدرسة و يعاونه عدد من المعيدين و بقي السلفي بمدينة الإسكندرية معتكفا بمدرسته مدة مقامه بها و هي أربع و ستون عاماً و في ذلك يقول الحافظ أبو نصر: "و بلغني انه مدة مقامه بالإسكندرية و هي أربع و ستون سنة ما خرج إلى بستان، و لا فرجة غير مرة واحدة، بل كان عامة دهره ملازما مدرسته و ما كنا نكاد ندخل عليه إلا نراه مطالعا في شيء "[2].

و كان السلفي من العلماء و الفقهاء القليلين الذي قدروا المرأة العالمة الورعة حق قدرها فقد ترجم في كتابه (معجم السفر) لعدد من نساء الإسكندرية المشتغلات بالعلم و الأدب ممن أخذ هو عنهن أو ممن أخذن عنه، و في مقدمتهن أم زوجته و هي عائشة فقد قال عنها:"عائشة هذه محدثة، و ابنة محدث، و كانت صالحة قرأنا عليها سنة (534هـ/1139م)، أما أختها الأخرى و كانت محدثة أيضاً، كانت في حياتها تصلي طول الليل و لا تنام إلا عن غلبة"[3]، و كان للسلفي في المجتمع السكندري مكانة ممتازة ملحوظة، فكان يسعى إلي الملوك و الأمراء و كبار رجال الدولة و قد امتد عمر الحافظ السلفي حتى أشرف على المائة فشهد زوال الدولة الفاطمية، فقد وصل إلى الإسكندرية في عهد الخليفة الآمر ، ثم جاء بعده الحافظ و الظافر و الفائز و انتهت في عهد العاضد، و قامت الدولة الأيوبية[4]، و لم يشغل السلفي تدريسه بمدرسته عن التأليف فقد صنّف العديد من الكتب، معظمها في علم الحديث، و ما يتصل به من تراجم المحدثين، كما ألف السلفي ثلاثة معاجم لشيوخه الذين أخذ عنهم، و في سنة (576هـ/1180م)انتقل الشيخ الورع التقي العالم إلى جوار ربه بعد أن جاوز المائة من عمره[5].

1- سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 161.

2- جمال الدين الشيال، (**تاريخ مدينة الإسكندرية**)، المرجع السابق، ص 43

3- نفسه، (**أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي**)، المرجع السابق، ص 156.

4- نفسه، ص 159.

5- سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 92.

- المدرسة الحافظية (العوفيّة):

أقام الوزير رضوان بن الولخشي[1] المدرسة الحافظية في عهد الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي لتدريس المذهب السّني المخالف لمذهب الدولة الشيعية المذهب، و يحدثنا ابن تغرى بردى عن المدرسة الحافظية فيقول:" إن الوزير رضوان بن الولخشي بنى هذه المدرسة بمدينة الإسكندرية سنة 533هـ للفقيه المالكي أبي الطاهر بن عوف"، كما ذكرها المقريزي في حوادث سنة 532هـ دون ذكر اسمها فقال:"و فيها بنى الوزير رضوان المدرسة المعروفة في ثغر الإسكندرية وجعل في تدريسها الفقيه أبا الطاهر بن عوف"، و قد عرفت المدرسة الحافظية باسم المدرسة العوفية فقد غلبت شهرة مدرّسها على شهرة منشئها[2].

و لذلك نستطيع القول أن مدينة الإسكندرية كانت أول مدينة مصرية عرفت نظام المدارس، و أن أول أستاذ نظاميّ للمذهب السني في مصر هو شيخنا أبو الطاهر بن عوف، و يحدد القلقشندي موقع هذه المدرسة فيقول:"و خرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس (الإسكندرية) بشارع المحجة"، أما عن الأسباب التي من اجلها أنشأ الوزير رضوان بن الولخشي هذه المدرسة فيحدثنا عنها القلقشندي فيقول:"و لما انتهى إلى أمير المؤمنين ميّزة ثغر الإسكندرية حماه الله تعالى على غيره من الثغور، و هو يشتمل على القراء و الفقهاء، و المرابطين الصلحاء، و أن طالبي العلم من أهله و من الواردين إليه، أو الطارئين عليه مشتتو الشمل، و متفرقوا الجمع، أبى أمير المؤمنين أن يكونوا حائرين، و لم يرض أن يبقوا مذبذبين متبددين و خرجت أوامره بإنشاء المدرسة الحافظية بهذا الثغر المحروس، منّا عليهم و إنعاما، و مستقراً لهم و مقاماً، و مثوى لجميعهم و وطناً، و محلاّ لكافتهم و سكناً"[3].

غير أن هذا النص الذي أورده القلقشندي يحتاج إلى توضيح ذلك أن الخليفة أمير المؤمنين الذي أمر بإنشائها شيعي المذهب فكيف يأمر بإنشاء مدرسة سنيّة، و قد أجلى المقريزي في ترجمته للوزير

1- رضوان بن الولخشي: أمير الجيوش و الوزير الحافظ و مدير ممالكه بديار مصر وغيرها، فاستوزره الخليفة الفاطمي الحافظ، و لما ولي الوزارة استولى على مصر و الحجر، توفي سنة (543هـ/1148م)، أنظر: ابن تغرى، المصدر السابق، ج 05، ص 543.

2- سعاد ماهر، المرجع السابق، ج 02، ص 166.

3- القلقشندي، المصدر السابق، ج 10، ص 465.

رضوان بن الولخشي هذا الغموض فقال:"و كان رضوان سنياً حسن الإعتقاد، فأخذ يهيّئ حواشي الخليفة إذا حضروا إليه، و يقدح في مذهبه لأنه كان سنّياً، و كان أخوه الأوحد إماميا" أي شيعياً[1].

أمّا الشيخ أبو الطاهر بن عوف الذي من أجله أنشئت أول مدرسة سنية في مصر، فهو إسماعيل بن مكي بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري، ينتهي نسبه إلى عبد الرحمان بن عوف الصحابي الجليل، ولد بمدينة الإسكندرية سنة (485هـ/1092م)و توفي بها سنة (581هـ/1185م)، عن ستّ و تسعين سنة و دفن بمدرسته، و قال عنه أبو الحسن على بن الحميري، كان ابن عوف رحمة الله عليه إمام عصره، و فريد دهره في الفقه على مذهب مالك، و عليه مدار الفتوى، و جمع إلى ذلك الورع و الزهد، و كثرة العبادة، و التواضع التام، و نزاهة النفس، و تذكر المراجع أن نفيس الدين أبا الحرم المكي ابن أبي الطاهر بن عوف اشتغل بالتأليف، فقد وضع شرحاً عظيماً على التهذيب لأبي سعيد البرادعي، عرف بالعوفية، يقع في ستّ و ثلاثين مجلداً[2].

و يقول الدكتور الشيال في كتابه أعلام الإسكندرية عن تاريخ ابن عوف في الدولتين الفاطمية و الأيوبية فيقول و شهد ابن عوف نهاية الدولة الفاطمية الشيعية و قيام دولة صلاح الدين الأيوبي في مصر سنة (567هـ/1171م) و قد زار صلاح الدين الإسكندرية سنة (577هـ/1181م)، و حرص في هذه الزيارة أن يحضر هو وأولاده و كبار رجال دولته دروس أبي الطاهر بن عوف وسمعوا عليه جميعا موطأ مالك لروايته عن أساتذة الشيخ الطرطوشي و أصبحت لابن عوف منذ ذلك الحين مكانة كبيرة عند صلاح الدين يسأله الرأي، و يستفتيه في كلّ ما يعرض من مشاكل و أمور جسام[3].

بـ – في العهد الأيوبي:

– مدرسة ابن الأنجب:

و هي من المدارس الإسكندرية في العصر الأيوبي التي نص عليها المنذري صراحة عند الحديث عن الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن الأنجب المقدسي الأصل الاسكندري المولد و الدار الماكي المتوفى سنة (611هـ/1214م) إذ قال المنذري عنه:"أنه – أي ابن الأنجب– أنه قد ناب في الحكم للعزيز بالإسكندرية و درّس بها بالمدرسة المعروفة به"، و هذه المدرسة من جملة المدارس التي لن نعثر

1– تقي الدين المقريزي، (**اتعاظ الحنفاء**)، المصدر السابق، ج 03، ص 166.

2– ابن فرحون، المصدر السابق، ص 95

3– جمال الدين الشيال، (**أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي**)، المرجع السابق، ص 116.

لها على تاريخ الإنشاء، و لا على نوع الدراسة السائدة بها، و المذهب الذي اختصت به، و نرجّح القول بأنها بنيت قبل سنة (611هـ،1214م) و انها اختصت بدراسة المذهب المالكي لكون أستاذها مالكي المذهب[1].

- المدرسة الصّاحبيّة:

قال المقريزي:"انشاها صفي الدين بن عبد الله ابن علي بن شكر، و جعلها وقفا على المالكية ، و قد ذكر المنذري ثلّة من الذين قاموا بالتدريس في هذه المدرسة منهم: الإمام الشيخ الحافظ أبو الحسن علي بن المفضل اللخمي المقدسي الأصل الإسكندراني المولد. المالكي، و ولديه احمد المتوفى سنة (613هـ/1216م)، و محمد المتوفى سنة (631هـ/1233م)، و كذلك ما ذكره عن عبد الله بن يوسف الهواري المتوفى سنة (612هـ/1215م) من أنه أقرأ و أمّ الناس بالمدرسة الصاحبية، و ما ذكره النويري عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن جعفر الأزدي الغساني المالكي المعروف بابن اللهيب من أنّه تولى التدريس الصاحبية إلى حين وفاته[2].

- مدرسة الزكي التاجر:

و هي من المدارس التي استدل على وجودها الباحث في العصر الأيوبي بمصر المنذري من خلال ما كتبه عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن علي بن حسن الأبياري المالكي نزيل الإسكندرية و المتوفى سنة (616هـ/1219م)، و مولده بأبيار سنة(557هـ/1162م) حيث ذكر أنه تفقه بالإسكندرية على مذهب مالك بن أنس رحمه الله، و حدث و درس بالمدرسة المعروفة بالزكي التاجر مدة و هذه المدرسة من مدارس الفقه المالكي على الأرجح[3].

- مدرسة بني حديد:

و هي من مدارس فقهاء المالكية بمصر في العصر الأيوبي استنتاجاً مما كتبه المقريزي عن احد مدرسيها و هو محمد بن محمد بن سلامة بن يوسف ابي البركات القضاعي المتوفى سنة (620هـ/1223م)، و هي من مدارس المالكية بالإسكندرية، و كانت تدعى المدرسة المكتبية، و يتجلى ذلك من خلال ما كتبه المقريزي عن محمد بن محمد بن سلامة، حيث المقريزي:"محمد بن

1- زكي الدين المنذري، المصدر السابق، ج 02، ص 306.

2- شهاب الدين النويري، المصدر السابق، ج 03، ص 392.

3- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 01، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1993، ص 85.

محمد بن سلامة الإسكندراني مولده بالإسكندرية سنة(573هـ/1177م) و تفقه على عمه أبي القاسم عبد الرحمان بن سلامة، و ناب عنه بالثغر، و درس بالمكتبة – مدرسة بني حديد- و سمع بها من أبي الطيب عبد المنعم بن يحي، و قدم إلى القاهرة، و شهد عند القاضي القضاة صدر الدين أبي القاسم عبد الملك بن درباس و من بعده من الحكام، و درس بالمدرسة الفاضلة بالقاهرة » ذكر ذلك في كتابه: المقفى الكبير[1]، و قد ذكر ابن فرحون في كتابه الديباج المذهب أن ابنه أحمد قد تولى التدريس من بعده بالمدرسة المذكورة حيث يقول:"أحمد بن محمد بن سلامة المتوفى سنة (645هـ/1247)درس بمدرسة بني حديد وهو من رؤساء المالكية"[2].

– مدرسة المعظم توران شاه:

ذكر المقريزي في حوادث سنة (577هـ/1181م) ان صلاح الدين الأيوبي كان قد عمر مدرسة على ضريح المعظم توران شاه بالإسكندرية اثناء زيارته لها، و لم تذكر المصادر تعيين موقعها، و لا المذهب الذي أنشأت من اجله، و القائمين على التدريس بها و قد عثر على لوحة إنشائية بالإسكندرية يعتقد أنها تؤرخ لبناء هذه المدرسة بأمر من صلاح الدين الأيوبي سنة (583هـ/1188م)[3].

جـ – في العهد المملوكي:

عرفت الإسكندرية المدارس السنية النظامية قبل العهد المملوكي ، فقد ظهر في العصر الفاطمي مدرسة الطرطوشي والمدرستان السلفية والحافظية اللتان استمرتا حتى العصر المملوكي، الذي يعتبر امتداد للعصر الأيوبي عصر انتشار المدارس في الأراضي المصرية، فقد ورث سلاطين المماليك عن الأيوبيين الاهتمام بإنشاء المدارس و العناية بها، و التي وصف ابن بطوطة كثرتها بقوله :"و لا يحيط احد بحصرها لكثرتها"، والتي شمل دورها المجالات تعليمية، و الاجتماعية و التعبدية كما كانت منبراً لتلاقح الأفكار و قطباً يجمع بين أئمة و علماء الأمصار[4].

1- تقي الدين المقريزي، **المقفى الكبير**، ج 07، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 217.
2- ابن فرحون، المصدر السابق ص 70.
3- تقي الدين المقريزي، (**السلوك في معرفة دول الملوك**)، المصدر السابق، ج 01، ص 76.
4- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 33.

و لقد انتشرت المدارس في الإسكندرية المملوكية و تنوعت فنون الدراسة بها من قراءات و حديث و فقه و لغة و أدب و غيرها من المعارف، و رغم عناية سلاطين المماليك بتشييد العمائر و الأبنية الدينية إلا أن جلّ اهتمامهم كان منصباً على مدينة القاهرة، و لعل مرد ذلك كونها درّة المدائن، و عاصمة البلاد و حاضرتها، أمّا الإسكندرية فبرغم كونها قاعدة ثانية في البلاد بعد القاهرة كما أشار إلى ذلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى إلا أنها كانت عرضة لغارات الفرنج، و منها واقعة القبرصي التي أتت على الأخضر و اليابس فأحجم سلاطين الملوك و أمراؤهم عن إنشاء العمائر الدينية الباهضة التكاليف بالثغر، و اكتفوا بإنشاء مساجد و خوانق تؤدي الوظيفة الشعائرية و التعليمية[1].

مدرسة الأشرف قايتباي:

أنشأها السلطان الأشرف قايتباي أثناء توليه حكم السلطنة بالديار المصرية، و كانت بالقرب من القلعة التي أنشأها مكان المنار القديم، و من المتوقع أن تكون هذه المدرسة من حيث التصميم و الوحدات الأساسية شبيهة بتلك المدارس التي أنشأها السلطان بالقاهرة و مكة، و غيرها من المدن الإسلامية، بحيث تحتوي على قاعات الدرس و الصلاة، و مكتب السبيل للأيتام، و المكتبة و الوحدات السكنية، بالإضافة إلى الأوقاف الخاصة بها للصرف عليها[2].

02- المكتبات:

تعتبر المكتبة من أهم روافد المعرفة كما أنها تمثل جزءا هاما من الحياة التعليمية و العلمية، و قد شهدت مصر الإسلامية رواجا لنظام المكتبات.

أ-في العهد الفاطمي:

اهتم الفاطميون بإنشاء المؤسسات التعليمية في مصر، و إلحاق المكتبات بها، و ذلك من اجل القضاء على العقيدة السنية و نشر العقيدة الشيعية بها، غير أن الكتابات التاريخية لم تمدنا بدلائل تاريخية على المكتبات بهاته الفترة بالإسكندرية[3]، و قد اقتدى الفاطميون بالعباسيين ببغداد

1- القلقشندي، المصدر السابق، ج 11، ص 425.

2- ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 08، ص 08.

3- منذر حميدي الحسيني، **مكتبات مصر و بلاد الشام في عصر المماليك (648-923 هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية جامعة الجنان، طرابلس لبنان، 1435 هـ /2014 م، ص 69.

و الأمويين بالأندلس بإقتناء الكتب النادرة في مختلف العلوم، و قد بدأ ذلك العزيز بالله الفاطمي و وزيره يعقوب بن كلس، فحبب الخليفة إقتناء الكتب فجمع منها جانبا كبيرا و خصص لها قاعات في قصره سماها خزانة الكتب، و ذكر بعض المؤرخين أنه كان في خزانة الكتب بالإسكندرية في العهد الفاطمي أكثر من مليون و ستمائة ألف كتاب في الفقه و النحو و غير ذلك، و في الوقت الذي استولى فيه صلاح الدين على القصر يذكر المقريزي نقلا عن ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كان فيها ما يزيد على مئة و عشرون ألف مجلد[1].

بـ – في العهد الأيوبي:

عرفت مصر نظام المكتبات قبل العصر الأيوبي.فقد انتشرت انتشارا واسعا في العهد الفاطمي حيث اهتموا بها اهتماما بالغا،كيف لا و قد كانت وسيلة من وسائل نشر دعوتهم الشيعية و نفوذهم السياسي في المشرق الإسلامي، و من ثم انتشرت المكتبات في القصور و المساجد، و عندما آلت الأمور إلى صلاح الدين الأيوبي، أبطل المذهب الشيعي و قضى على خزائنهم و مكتباتهم، لتعارض ما تضمنته بعض كتبهم من أفكار مع مذهب الأيوبيين السني[2]، غير أن ما تبقى من تلك الكتب و المكتبات الفاطمية شكل نواة لمكتبات العصر الأيوبي، سيما و قد اشتهر حكامهم ـ أي الأيوبيين ـ حبهم للعلم و مجالسة العلماء،كما ذكرنا سابقا حيث اثر عنهم بناؤهم للمدارس و اعمارها و الحق منها بمكتبات نذكر منها المكتبة الخاصة بالفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الربعي الكركنتي (598هـ-1201م) بالإسكندرية كتب الكثير[3].

جـ – في العهد المملوكي:

من خلال ما أوردناه من مكتبات الفاطميين بمصر و الأيوبيين، نعرج فيما بعدها على العهد المملوكي نرى أن مصر هيأت للعلماء و طلبة العلم أن يصبحوا مناهل للعلم كالأشجار المثمرة تجود بثمارها على من طلبها، و على هدا النحو رأى العلماء أنهم أمام مسؤولية كبيرة لغرس مجد هذه الأمة، و لنشر الدين و تجديد العلم و جمع شتات المعارف و تضمينها كتبا تكون عوضا عما أبيد و لذلك لجئوا إلى تدوين الكتب لحفظ العلم من الضياع، و قد كان عصر المماليك يبنى بكثرة

1- تقي الدين المقريزي، (**المواعظ و الإعتبار**)، المصدر السابق، ج 01، ص 408.

2- شمس الدين الذهبي، (**تاريخ الإسلام**)، المصدر السابق، ج 42، ص 271.

3- زكي الدين المنذري، المصدر السابق، ج02، ص 306.

الرجال-أي العلماء-حصون الدفاع السليمة و أسوار الثبات بعد عصر الهجوم و التوسع الحربي و لقد قام العديد من هؤلاء العلماء ببناء المؤسسات التعليمية و إلحاق المكتبات بها، و كذلك تزويد المكتبات بتحفهم التي أنتجوها من العلم، و قد تنوعت المكتبات و الخزائن بتنوع أماكن وجودها، فهناك الخزائن الملحقة بالمساجد و الجوامع، و يذكر السيوطي أنه كانت هناك مكتبات عامرة بجامع الإسكندرية[1]، نذكر منها على سبيل المثال:

خزائن الكتب الخاصة: خزانة كتب الأمير ركن الدين بيبرس المظفري والي الإسكندرية (ت799/هـ/1366م)، الذي ذكر البعض انه بعد وفاته بيعت تركته القاهرة، فوجد بها نسخة من كتاب شرح التهذيب لأحد أبناء بن عوف، و ممن كانت له أيضا خزانة خاصة كمال الدين محمد بن محمد بن خلف الشمني الاسكندراني، فقد كان يمتلك كثيرا من الكتب أصيب في بعضه[2].

و لقد شغف كثير من العلماء بنسخ الكتب و الأجزاء و ضمها إلى مكتباتهم مثل مسند الإسكندرية لأبي محمد عبد الوهاب بن رواج، ذكر الذهبي انه سمع من أبي طاهر بن عوف و نسخ الأجزاء[3]، و الشيخ محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن عيسى الاسكندراني المالكي (ت659هـ/1260م) الذي كتب بخطه الكثير[4]، و الذي يجدر ذكره هنا انه لما كان الثغر الاسكندري له وضع خاص مختلف عن بقية مصر، و هو الوضع الجهادي فقد حوت بعض المكتبات أو خزائن الكتب على مجموعة كبيرة من الأسلحة و الذخيرة لتكون في متناول أيدي الطلبة تحسبا لأي مداهمة من قبل الأعداء للثغر، فيذكر البلوي انه حين اطلع على مكتبة الكناني شاهد فيها أنواعا من الأسلحة و الذخيرة و آلات الحرب الشيء الكثير، بل وتعلم من صاحبها أحكام الرماية بالقوس العربية[5].

1- جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د م ن)، 1384هـ/1964م، ص 33.

2- ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق، ج 07، ص 151.

3- شمس الدين الذهبي، (**سير أعلام النبلاء**)، المصدر السابق، ج 23، ص 237.

4- نفسه، (**تاريخ الإسلام**)، المصدر السابق، ص 395.

5- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 88.

المبحث الثالث: الأربطة والزوايا:

01- الأربطة:

جمع رباط، و الربط و المرابطة: ملازمة ثغر العدوّ, و أصله أن يربط كلّ واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزوم الثغر رباطاً، و قال تعالى:{و اعدّوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل} الأنفال:60

و قال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتّقوا الله لعلكم تفلحون} آل عمران:200.

و من هذه الدلالة أطلق لفظ "رباط" على البناء المحصّن الذي يقام على الحدود، يرابط به جماعة من المجاهدين لمهاجمة الأعداء، و دفع خطرهم، و كان المجاهدون يجمعون بين المرابطة للذود عن حمى الوطن و ممارسة الشعائر الدينية فكبحوا جماع الهجمات المسيحية على المشرق الإسلامي[1].

و بزوال خطر الغزو الصليبي، اصطبغ الرّباط بصبغة، دينية تمارس فيه الطقوس الصوفية، كما يشير إلى ذلك المقريزي في " الخطط" و سعيد عاشور في " المجتمع المصري" و الرّباط يقابله بالفارسية كلمة "خانقاه" و جمعها خوانق ، خصصت لانقطاع الصوفية فيها للعبادة، و قد ظهرت الخوانق في الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة في الوقت الذي كثرت فيه الصوفية و تعددت مشايخها كما يذكر ذلك الخطيب في كتابه "دراسات في تاريخ الحضارة"[2].

02- الزوايا:

مفردها زاوية، و هي مشتقة من فعل: انزوى، أي أتخذ زاوية من زوايا المسجد للاعتكاف للتعبد، ثم أنشئت لها أبنية خاصة في جهات مختلفة من المدينة لإيواء الصوفية، و الطلبة و الغرباء[3] و بالنسبة للأربطة و الزوايا المالكية خلال حقبة الدراسة فقد أحصينا خلال ما اطلعنا عليه من مصادر كالتالي:

بالنسبة للعصر الأيوبي رباط محمد عبد المعطي بن الثاء المالكي اللخمي الاسكندراني الضرير(ت638هـ-1240م)، و قد كان له رباط مشهور به بالإسكندرية،كما كانت طريقته في

1- ابن منظور، **لسان العرب**، مج 03، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ص 1561.

2- أمال رمضان عبد الحميد صديق، المرجع السابق، ص 306.

3- ابن منظور، المرجع السابق، مج07، ص 1564.

الخير مشهورة، و قد اهتم المماليك ببيوت الصوفية فكان يعين لكل رباط أو خانقاة شيخ يساعده عدد من المتصوفة و اشترط في الشيخ أن يكون:" من جماعة المتصوفة وألا يكون قد اتخذ التصوف حرفة" كما يشير إلى ذلك سعيد عاشور في كتابه المجتمع المصري[1].

و كانت تمون بمختلف المواد الغذائية، و مستلزمات تسييرها من قبل السلاطين و الأمراء و كبار التّجار، و كانوا يتنافسون في بناء الأربطة و الزوايا، كما ورد في رحلة ابن بطوطة و قد عاب ابن الحاج على أهل الخوانق جلسات السّماع التي كانوا يقيمونها للذكر و معهم المزمار و الدف و الرقص و التصفيق، حيث يرقص الشيخ بلا وجل و لا حياء، فيشاع في هذه المجالس اللهو المنافي للوقار الصّاد عن الذكر و الاعتبار، و إتباع سنة النبي المختار عليه أفضل الصلاة و ازكي التسليم، فاستنكر العلماء الربانيون تلك الطقوس و الممارسات فاصدر السلطان جقمق مرسوماً لمنع الصوفية من عمل "ما لا يجوز في زواياهم" كما ذكر ابن تغري بردي في كتابه "حوادث الدهور"[2].

و قال المقريزي عن هؤلاء الصوفية "لا ينسبون إلى علم ولا ديانة وإلى الله المشتكى" في كتابه "الخطط" و قد وجد بالإسكندرية عدة أربطة و خوانق، و زوايا نذكر منها الآتي:

- رباط الواسطي:

نسبة إلى الشيخ أبي علي منصور بن أبي الفضل الو اسطي القاضي المتوفى سنة (672هـ/1273م).

- رباط سوار أو (محروس سوار):

و هو الذي نزل به أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري، كذلك نزل فيه عدد كبير من المتصوفة أمثال المرسي أبي العباس.

- رباط الهكاري:

أنشأه محمد بن الأمير زين الدين أبي المفاخر باخل بن عبد الله هاكري، متولي الثغر زمن المنصور قلاوون، و كان أديبا عالماً، توفي سنة (683هـ/1284م) عند رباطه بخارج باب رشيد[3].

1- سعيد عبد الفتاح عاشور، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، 1992، ص 171.

2- تقي الدين المقريزي، (**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار**)، المصدر السابق، ج 03، ص 205.

3- نفسه، ج 04، ص 272.

الفصل الثالث

مصنفات علماء المالكية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة

المبحث الأول:منهج علماء المالكية في التأليف في الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة:

أولاً : سمة الابتكار في التأليف:

ثانياً: دوافع التأليف:

01- التصويب و النقدُ:

02- الرّد على غير المسلمين :

03- الشرح والتبسيط:

04- الاختصار :

المبحث الثاني : مصنفات علماء المالكية في علوم القرآن والفقه والحديث.

أولاً: مصنفاتهم في علوم القرآن :

ثانياً: مصنفاتهم في علوم الحديث :

ثالثاً : مصنفاتهم في الفقه وأصوله :

المبحث الثالث : مصنفات المالكية في اللغة و الأدب و التاريخ و أصول الدين:

أولا : مصنفاتهم في الأدب :

ثانيا : مصنفاتهم في التاريخ :

ثالثا : مصنفاتهم في أصول الدين :

رابعاً: مصنفاتهم في التصوف و الوعظ:

خامسا: مصنفاتهم في موضوعات أخرى:

سادسا: عرض تحليلي لنموذج من مصنفات المالكية ممثلة لطبقاتهم:

- **كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك في أعلام مذهب الإمام مالك:**

جاء منهج علماء المذهب المالكي متنوعاً في المسلك، قادراً على الاستيعاب، مواكباً للنوازل في شمولية و حيوية، و أنجبت عبقريات فقهاء المالكية مدونات و تآليف تسلك في مسايرتها للوقائع دروباً شتى و أساليب مختلفة، قادت إلى إيجاد فقه حي، يقوم على دراسة الأدلة و استقراء النصوص و ذلك ما سأحاول إيضاحه بالأمثلة من خلال تقديم نبذة موجزة عن بعض أمهات مصنفات الفقه المالكي و أصوله خلا الفترة الزمنية المدروسة.

المبحث الأول: منهج علماء المالكية في التأليف في الإسكندرية خلال القرنين السادس والسابع للهجرة:

سوف تتناول الدراسة جهود علماء المالكية التي اتسمت بالابتكار في التأليف و المختصرات، و الشروح و الحواشي.

أولاً : سمة الابتكار في التأليف:

قام علماء مالكية الإسكندرية خلال فترة الدراسة بالتأليف في مختلف الفنون العلمية، فهذا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد المصري (ت588هـ/1191م) الذي شاهد نهاية الدولة الفاطمية و جزءاً من صدر الدولة الأيوبية يؤرخ لهذه الفترة [1]، مسجلاً بذلك تاريخ مرحلة هامة، حيث يعتبر كتابه هذا مصدراً تاريخياً هامّاً لمن جاء بعده، و كتاب"البغية و الاعتباط في من ولّي الفسطاط " اعتمد عليه كثيراً ابن تغري بردي صاحب "النجوم الزاهرة"، كما نجد عليّ بن ظافر الأزدي (ت623هـ/1225م) يعتزّ بأسلوبه في كتابه "بدائع البدائه" بأنه لم يسبقه إليه أحد فيقول:"و هو فنٌّ لم يجمعه قبلي أحد، و لا سطرته قبل يدي يدُ"[2].

ثانياً: دوافع التأليف:

يتجلى لنا من خلال الوقوف على مصنفات المالكية أثناء هذه الفترة، موضوع بحثنا أن هناك أسباباً دفعتهم إلى التصنيف نذكر من بينها الآتي:

1- فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص 115.

2- علي بن ظافر الأزدي (ت613هـ/1216م)، **بدائع البدائه**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ/2007م، ص 04.

01- التصويب و النقدُ:

يتجلى هذا الاتجاه النقدي للأفكار و المفاهيم في كتاباتهم كما نجد ذلك في كتاب شيث بن إبراهيم القفطي (ت598هـ/1201م) "حزُّ الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر" في الرّد على المعتزلة، و نقد أفكارهم على ضوء نصوص القرآن الكريم[1].

02- الرّد على غير المسلمين :

و من أمثلة ذلك أبو العبّاس شهاب الدّين أحمد بن إدريس القرافي (ت684هـ/1285م) و الذي عاصر الدولتين: الأيوبية و المملوكية، فهو من تلاميذ المالكية خلال العصر الأيوبي، حيث ألف كتابه "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الردّ على الملّة الكافرة" أشار في مقدمته أن سبب تأليفه احتجاج بعض النصارى بالقرآن الكريم للتدليل على صحة مذهبهم، فدحض في كتابه زيف مذهبهم، معلّلا ردّه بنصوص القرآن الكريم[2].

03- الشرح والتبسيط:

و ذلك بشرح ما دعت الحاجة إلى تيسيره لطالب العلم في بعض الفنون المعرفة، كشرح ابن الحاجب لكتاب سيبويه و تلخيص القرطبي نزيل الإسكندرية (ت656هـ/1257م) كتاب مسلم، ثم شرحه في كتابه "المفهم" حيث يقول في مقدمته "فلماّ حصل من تلخيص كتاب مسلم و تبويبه المأمول... رأينا أن نكمل فائدته للطالبين و نسهل السبيل إليه على الباحثين... حرصاً على التقريب و التسهيل، و عوناً على التفهم و التحصيل، و سميته بالمفهم لماَ أشكل من تلخيص كتاب مسلم"[3].

04- الاختصار :

فألفت المختصرات في الفقه و الحديث و النحو و غيرها من فنون العلم، كتلخيص كتاب مسلم لمؤلفه القرطبي و قد علل ذلك في مقدمته بقوله:"لما تقاصرت الهمم في هذا الزمان عن بلوغ الغايات، من حفظ جميع هذا الكتاب بما اشتمل عليه من الأسانيد و الروايات، أشار من إشارته غنم، و طاعته حتم، إلى تقريبه على المتحفّظ و تيسيره على المتفقه، بأن نختصر أسانيده، و نحذف مكرّره...فاستعنت بالله تعالى، و بادرت إلى مقتضى الإشارة"، و في الفقه نجد عبد الله بن عبد

1- جلال الدين السيوطي، (**بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**)، المصدر السابق، ص 149.

2- شهاب الدين القرافي، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة**، تح: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، 1426هـ / 2005م، ص 21.

3- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج 02، ص 1427.

الرحمان بن محمد المغربي الأصل الشارمساحي (ت669هـ/1270م) يختصر"المدونة" في كتاب سماه "نظم الدرر في اختصار المدونة" و قام بشرحه[1].

المبحث الثاني : مصنفات علماء المالكية في علوم القرآن والفقه و الحديث.

لعلماء المالكية في مصر خلال هذه الحقبة مصنفات كثيرة في علوم القرآن و الحديث و الفقه نجملها في الآتي:

أولاً: مصنفاتهم في علوم القرآن :

نذكر منها في علم القراءات: مصنفات أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمي الشريشي الأصل ثم الإسكندري (ت629هـ/1231م) منها الجامع الأكبر و البحر الأزخر، يحتوي على سبعة آلاف رواية و طريق[2] و الإحالة في شرح الإمالة، و أنوار الأنوار في قراءة أهل الأمصار، و الاهتداء في الوقت و الابتداء، و الاهتمام في معرفة خطّ المصحف الإمام، حيث تصل إلى ثلاثة و عشرين مصنّفاً، و من مؤلفاتهم في علوم القرآن"مفردات القرّاء" لأبي الفضل جعفر بن علي الإسكندري (ت636هـ/1238م)[3] كان من ثقات الشيوخ، و كتاب "الإعلان في السبع" لأبي القاسم عبد الرحمان بن عبد المجيد بن الصفراوي (ت636هـ/1238م)، و من الآثار العلمية في علوم القرآن "أمالي ابن الحاجب" لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت646هـ/1248م) و هو مجلد فيه تفسير بعض الآيات، و فوائد شتى في النحو، و له كتاب في القراءات أيضاً حيث يقول ابن فرحون:" وصنف في القراءات"[4].

و مصنفات أبي علي منصور بن سرار الأنصاري السكندري المعروف بالمسدي (ت651هـ،1253م) و هي أرجوزة في القراءات، و تفسير للقرآن الكريم، و نذكر كذلك من مؤلفاتهم في علوم القرآن الكريم ما صنفه أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي نزيل منية بني خصيب (ت671هـ/1272م)، و أولها الجامع لأحكام القرآن و المبيّن لما تضمنه من السنة

1- جلال الدين السيوطي، (**حسن المحاضرة**)، المصدر السابق، ج 01، ص 457.

2- إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين و أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت)، ص 808.

3- شمس الدين الذهبي، (**تاريخ الإسلام**)، المصدر السابق، ج 48، ص 382.

4- ابن فرحون، المصدر السابق، ج 02، ص 86.

و آي الفرقان، و هو من اجَّل التفاسير و أعظمها نفعاً، ذكر فيه أحكام القرآن، و بين القراءات و الإعراب، و هو معروف بتفسير القرطبي[1].

ثانياً: مصنفاتهم في علوم الحديث :

فمنها مصنفات أبي الحسن علي بن المفضل (ت611هـ/1214م) و أولها الأربعون الإلهية، و التي أشار إليها السيخاوي عند كلامه عن الأحاديث الإلهية حيث قال:"و قد جمع منها ابن المفضل الحافظ طائفة" و الثاني كتاب الأربعين في فضل الدعاء الدائم، و ثالثها "الأمالي"[2].

و من آثار المالكية في علم الحديث نجد أيضاً مصنفات أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي (ت656هـ/1257م)، و أولها تلخيص كتاب مسلم، و قد بيّن سبب وضعه لهذا التلخيص، فقال:" لما تقاصرت الهمام في هذا الزمان عن بلوغ الغايات من حفظ جميع هذا الكتاب بما اشتمل عليه من الأسانيد و الروايات، أشار من إشاراته غنم، و طاعته حتم إلى تقريبه على المتحفظ، و تيسيره على المتفقه، بأن نختصر أسانيده، و نحذف مكرّره... فاستعنت بالله تعالى و بادرت إلى مقتضى الإشارة"، و الثاني: كتابه "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" و هو شرح لكتابه الأوّل و الثالث "مختصر الجامع لصحيح البخاري"[3].

و من مصنفاتهم في علم الحديث كذلك ما ألفه أبو عبد الله محمد بن احمد بن احمد بن أبي بكر فرج الأنصاري القرطبي نزيل منية بني الخصيب (ت671هـ،1272م) حيث صنّف "التذكار في أفضل الأذكار" وضعه على طريقة النووي في كتاب "التبيان" فكان أتم منه و أكثر علماً و" المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس"[4].

ثالثاً : مصنفاتهم في الفقه و أصوله :

نذكر من بين مصنفاتهم الفقهية "العوفيّة" لمؤلفه أبي الحزم نفيس الدين مكي بن عوف، و هو كتاب نفيس للغاية، شرح فيه "التهذيب" لأبي سعيد البراذعي، و هو في ستة و ثلاثين مجلداً[5] و كذلك مصنفات شيث بن إبراهيم القفطي (ت598هـ،1201م) و منها "تعاليق في الفقه على

1- ابن فرحون، المصدر السابق، ج 02، ص 308.
2- شمس الدين السخاوي، ج01، المصدر السابق، ص 126.
3- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج 01، ص 554.
4- ابن فرحون، المصدر السابق، ج 02، ص 308.
5- نفسه، ج 01، ص 293.

مذهب الإمام مالك"[1]، و من أثارهم في الفقه نذكر مصنفات عبد الكريم بن عطاء الله السكندري (ت612هـ/1215م)، و منها "البيان والتقريب في شرح التهذيب" و هو كتاب عظيم الفائدة في نحو سبع مجلدات، و نذكر من المصنفات التي لها أثر كبير بين المالكية كتاب "عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة" لجلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس(ت616هـ/1219م)، و هو أحد الكتب التي لقيت قبولاً و استحساناً من قبل علماء المالكية في تلك الفترة بمصر[2].

و من بين مؤلفاتهم في أصول الفقه المالكي ما ألفه أبو الحسين علي بن إسماعيل الأبياري (ت616هـ/1219م) و هو كتاب "التحقيق والبيان في شرح البرهان"، و يعد هذا الكتاب من أهم كتب الأصول، و بعض العلماء يفضله على الرازي في الأصول[3]،كما نذكر من مصنفاتهم الفقهية ما ألفه ابن الحاجب عثمان بن أبي بكر(ت646هـ/1248م) الذي صنف "التصانيف المفيدة"، و من مؤلفاته في الفقه"الجامع بين الأمهات" و هو مختصره الفقهي، ألفه في فروع الفقه المالكي، و يعرف بالمختصر الفرعي، و هو الذي نسخ ما تقدمه و شغل دوراً مهماً، و أقبل عليه الناس شرقاً و غرباً و حفظاً و شرحاً، و هذا الكتاب أعجب به الشافعية قبل المالكية، و شكل مرحلة تاريخية بالنسبة للكتب المعتمدة في المذهب[4].

و كتابه الثاني في أصول الفقه هو "منتهى السّؤل و الأمل في علمي الأصول و الجدل" و قد اختصره في كتابين هما "عيون الأدلة" و الثاني "مختصر المنتهى في الأصول"، و من مصنفاتهم في الفقه نذكر كذلك مصنفات عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الشارمساحي (ت696هـ/1270م) و المتمثلة في "نظم الدّرر في اختصار المدونة" حيث اختصر المدونة بأسلوب عجيب من النظم و الترتيب و لذلك سماه "نظم الدّرر" و قام بشرحه، و الثاني "التعليق في علم الخلاف"و الثالث "شرح الجلاب"[5].

1- ياقوت الحموي، (**معجم الأدباء**)، المصدر السابق، ج 03، ص 1424.

2- فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص 129.

3- ابن فرحون، المصدر السابق، ج 02، ص 121.

4- محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 167.

5- نفسه، ص 187.

المبحث الثالث : مصنفات المالكية في اللغة و الأدب و التاريخ و أصول الدين:

أولا : مصنفاتهم في الأدب :

من مصنفاتهم في الأدب مصنفات شيث بن إبراهيم القنطي (ت599هـ/1203م) و أولها "الإشارة في تسهيل العبارة" و الثاني "المختصر في النحو"، و الثالث قصيدة في الأسماء الذاكرة بعنوان "اللّؤلؤة المكنونة و اليتيمة المصونة"، و تقع في سبعين بيتاً، و من مصنفات المالكية في الأدب كذلك "مختصر المفضل" للزمخشري لصاحبه أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري (ت612هـ/1215م)[1]، و مصنفات علي بن ظافر الأزدي المقري (623هـ/1225م)، و هي "نفائس الذخيرة" من أجود ما ألف في الأدب و كتابه الثاني "بدائع البدائه" و الثالث "غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات"، و من تراثهم الأدبي و النحوي، مصنفات ابن الحاجب (646هـ/1248م) و أولها "الكافية" و هي مقدمة وجيزة مفيدة في النحو و الثاني "شرح الكافية" حيث المسائل النحوية التي جاءت موجزة أو غامضة في الكافية، و الثالث "القصيدة الموشحة بالأسماء المؤنثة" و هي قصيدة جمع فيها الأسماء المؤنثة بدون علامات تأنيث، و من مصنفاتهم في اللغة نذكر "المصباح في الجمع بين الأفعال و الصحاح" لأبن القطاع للقرطبي (671هـ/1273م)، و هو كتاب لغوي اختصر فيه القرطبي كتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع (ت515هـ/1121م)[2].

ثانيا : مصنفاتهم في التاريخ :

نذكر منها مصنفات أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد المصري (ت589هـ/1192م)، و أولها تاريخ مصر إلى أيام صلاح الدين، و الثاني "بغية الاغتباط فيمن سكن الفسطاط"، ويذكره المقريزي بعنوان "البغية و الاعتباط في من ولّي الفسطاط"[3]، و كذلك مصنفات أبي عليّ محمد بن أسعد بن علي الحسيني المتوفى بمصر سنة (588هـ/1191م) و منها كتاب "الشجرة المحمدية"، تناول فيها نسب النبي صلى الله عليه وسلم و اسرته و كتابه "أصول الاحساب من أصول الأنساب"، و هو عن نسب النبي صلى الله عليه و سلم، مع تعريفات دقيقة

1- محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص 167.

2- فوزي رمضاني، المرجع السابق، ص 135.

3- شمس الدين الذهبي، (**تاريخ الإسلام**)، المصدر السابق، ج 41، ص 293.

لمصطلحات الأنساب، و كتاب "النقط بعجم ما أشكل من الخطط"، ذكره المقريزي في خططه و اعتمد عليه، و أشار إلى أنه من الأوائل الذين رتبوا خطط مصر وآثارها[1].

و من تراثهم العلمي في التاريخ نذكر مصنفات أبي الحسن علي بن ظافر الأزدي المصري (ت613هـ/1216م) و يصنف ضمن المؤرخين البارزين خلال حقبة الدراسة و كذلك مصنفات ابن الحاجب (646هـ.1249م)، و المتمثلة في "ذيل على تاريخ دمشق" للحافظ علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت571هـ/1176م)[2].

ثانياً : مصنفاتهم في أصول الدين :

و نذكر ضمن مصنفات أصول الدين "حزُّ الغلاصم و إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر"، للشيث بن إبراهيم القفطي (ت599هـ/1203م)، يتضمن الرّد على المعتزلة بالاستدلال بالنصوص القرآنية و إلزامهم الحجة و البيان من كلام الحكيم الخبير[3].

و من مصنفاتهم في أصول الدين أيضاً كتاب "البطشة الكبرى" لأبي الحسن علي بن ظافر الأزدي، المصري (ت613هـ/1216م)، و"شرح أسماء الله الحسنى" لإسماعيل بن إبراهيم علم الدين المنفلوطي (ت652هـ/1254م)، و كتاب "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للقرطبي (ت671هـ/1273م) أشار إليه كثيراً في تفسيره، و قد تناول فيه أسماء الله، و صفاته شرحاً و تبيناً على مذهب أهل السنة[4].

ثالثاً: مصنفاتهم في التصوف و الوعظ:

لعلماء المالكية تراث علمي زاخر في التصوف و الرقائق نذكر منها كتاب "سفينة النجاة" لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأبياري (ت618هـ/1221م)، انتهج فيه نهج أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين[5]، و من مصنفاتهم في التصوف"شرح الدلالة على فوائد الرسالة القشيرية" لأبي محمد عبد المعطي بن محمد اللخمي الإسكندراني (ت638هـ/1241م)، و له كذلك كتاب "شرح منازل السائرين" للهروي، و من تراث المالكية في التصوف بمصر، مؤلفات أبي العباس أحمد بن محمد

1- تقي الدين المقريزي، (**الخطط**)، المصدر السابق، ج 01، ص 13.
2- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج 01، ص 294.
3- ابن فرحون، المصدر السابق، ج 01، ص 294
4- حاجي خليفة، المرجع السابق، ج 02، ص 1034.
5- ابن فرحون ،المصدر السابق،ج02،ص121.

الشريشي(ت641هـ/1243م) منها كتاب "الرسالة" و كتاب "الأسرار" و كتاب" أسنى المواهب"[1].

رابعا : مصنفاتهم في موضوعات أخرى:

لعلماء المالكية مؤلفات في مجالات أخرى منها في السياسة الشرعية، لشيث ابن إبراهيم القفطي (ت599هـ/1203م)، الأول كتاب "تهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية و الراعي" صنفه للملك الناصر صلاح الدين، و الثاني "لطائف السياسة في أحكام الرئاسة"، و كتاب في علم المواقيت، و هو عبارة عن أرجوزة نظمها و حدث بها أبو البركات نعمة بن أحمد الزيدي المصري (ت593هـ/1196م)[2].

و نخلص في ختام هذا المبحث إلى تسجيل الآتي :

أولاً: أن مشاركة علماء المالكية في مجال التصنيف كانت قوية، يتجلى ذلك من خلال تنوع مجالات التأليف لبعضهم، كابن الحاجب الذي ألف في علوم القرآن و الفقه ، و الأدب و النحو و أصول الدين، و كذلك ابن المفضل و القرطبي اللذين تنوعت مجالات تأليفهما.

ثانياً: تعدد دوافع التأليف عندهم، حيث كانت تتنوع بين الشرح و الاختصار و الإهداء و غير ذلك مما سبق ذكره.

ثالثاً: أن لهم مؤلفات واسعة الانتشار في أواسط المشتغلين بالعلم، و ليست مقصورة على المالكية لجودتها و أهميتها، كتاب "المختصر الفرعي" لابن الحاجب، الذي أعجب به الشافعية قبل المالكية.

رابعاً: أن اهتمام علماء المالكية كان منصباً على العلوم الشرعية بالدرجة الأولى، ثم علوم اللغة و الأدب و التاريخ ثم التصوف.

خامسا: عرض تحليلي لنموذج من مصنفات المالكية ممثلة لطبقاتهم:

تناولنا كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك في أعلام مذهب الإمام مالك" للقاضي عياض، و الذي يعد اكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي، و رواة "الموطا"و علمائه

1- جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**،ت،محمد أبو الفضل إبراهيم ،ج01، المكتبة العصرية، صيدا،د،ت،ط.ص360.

2- زكي الدين المنذري، المصدر السابق، ج 01، ص 280.

و توخينا من خلال هذه الدراسة التحليلية لهذا النموذج إعطاء صورة وافية عن واحد من أهم المصنفات المالكية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين موضوع رسالتنا.

- **كتاب ترتيب المدارك و تقريب المسالك في أعلام مذهب الإمام مالك :**

إن مقام القاضي عياض مثل مقام البخاري، و الأئمة الأربعة، فهم حملة الشريعة و علومها التي يبثونها في صدور الرجال بالتلقين و التأليف، ذبّوا عن الشريعة بسيوف علومهم، فبقيت علومهم خالدة تالدة إلى الأبد، و كم من وليّ لله كان معهم و بعدهم بكثير، كان لهم تلاميذ و أوراد و انقطعت تلك الأوراد، و باد المريدون بمرور الأزمان، و أئمة العلم مازالوا يعلو بعلومهم كأنهم أحياء، هذا الكلام النفيس من بيان أبي عبد الله محمد الأمين في كتابه (المجد الطارف و التالد) يصف مكانة القاضي عياض العلمية، و قدره الرفيع بين علماء الإسلام، و ليس في كلام الشيخ مبالغة أو تزويد، لقد حقق القاضي عياض شهرة واسعة حتى قيل: لولا عياض لما عرف المغرب و كأنهم يعنون–من جملة ما يعنون – أنه أول من لفت نظر علماء المشرق إلى علماء المغرب حتى أواسط القرن السادس الهجري[1].

يعود نسب القاضي عياض بن موسى اليحصبي إلى إحدى القبائل اليمنية العربية القحطانية وكان أسلافه قد نزلوا مدينة بسطة الأندلسية من نواحي غرناطة و استقروا بها، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس المغربية ثم غادرها جده عمرون إلى مدينة سبتة حوالي سنة (373هـ/893م) و اشتهرت أسرته بسبتة لما عرف عنها من تقوى و صلاح، و شهدت هذه المدينة مولد عياض في (15 شعبان 476هـ / 28 ديسمبر 1083) و نشأ بها و تعلم، و تتلمذ على شيوخها[2].

و قد رحل القاضي عياض إلى الأندلس سنة (501هـ/1113م) طلباً لسماع الحديث و تحقيق الروايات، و طاف بحواضر الأندلس التي تفخر بشيوخها و أعلامها في الفقه و الحديث فنزل قرطبة أول ما نزل، و أخذ عن شيوخها المعروفين كابن عتاب و ابن رشد و غيرهما و كان حافظا متقناً حجة في عصره[3]، و قد اكتفى عياض بما حصله في رحلته إلى الأندلس، واتجه إلى المشرق مثلما يفعل غيره من طلاب العلم، فنهل من ينابيع العلم على يد علمائها البارزين آنذاك، و عاد إلى سبتة

1- محمد الكتاني، **أعلام من المغرب الإسلامي (القاضي عياض)**، مجلة الدارة، العدد 04، السنة 16، المملكة العربية السعودية، 1411هـ/1990م، ص 131.

2- ابن أبي خلكان، المصدر السابق، ج 03، ص 483.

3- محمد الكتاني، المرجع السابق، ص 134.

غزير العلم، جامعاً معارف واسعة، فاتجهت إليه الأنظار، و التف حوله طلاب العلم، و كانت عودته في سنة (508هـ/1114م) و جلس للتدريس و هو في الثانية و الثلاثين من عمره، ثم تقلد منصب القضاء في سبتة سنة (515هـ/1121م) و كان موضع تقدير الناس و إجلالهم[1].

و كانت حياة القاضي عياض موزعة بين القضاء و الإقراء و التأليف، غير أن الذي أذاع شهرته، و خلد ذكره هو مصنفاته التي بوأته مكانة رفيعة بين كبار الأئمة في تاريخ الإسلام و حسبك مؤلفاته التي تشهد له بسعة العلم ، و اتقان الحفظ، و جودة الفكر، و التبحر في فنون مختلفة من العلم، و كان القاضي عياض في علم الحديث الفذّ في الحفظ، و الرواية والدراية، العارف بطرقه الحافظ لرجاله[2].

و لقد ألف القاضي في شرح الحديث ثلاثة كتب هي (مشارق الأنوار على صحاح الآثار) و قد ضبط في هذا الكتاب ما إلتبس أو أُشكل من ألفاظ الحديث الذي ورد في الصحيحين و موطأ مالك، أما الكتابان الآخران فهما (إكمال المعلم) شرح ما فيه صحيح مسلم و (بغية الرائد لما في حديث أمّ زرع من الفوائد)[3].

كما درس القاضي عياض على شيوخه بسبتة المدونة لابن سحنون، و هو مؤلف يدور عليه الفقه المالكي، و يعد مرجعه الأول بلا منازع، و قد كتبت عليه الشروح و المختصرات و الحواشي غير أن المدونة لم تكن حسنة التبويب، حيث تتداخل فيها المسائل المختلفة في الباب الواحد، و تعاني من عدم إحكام وضع الآثار مع المسائل الفقهية[4]، و لاحظ القاضي عياض هذا عند دراسته المدونة فنهض إلى عمل عظيم، فحرّر روايتها، و سمّى رواتها، و شرح غامضها و ضبط ألفاظها و ذلك في كتاب (التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة و المختلطة)، و لا شك أن هذا العمل يعد خطوة مهمة في سبيل ضبط المذهب المالكي و ازدهاره[5].

1- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت647هـ/1250م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م، ص 278.

2- شمس الدين الذهبي، (**تذكرة الحفاظ**)، المصدر السابق، ج 04، ص 1304.

3- عائشة عبد الرحمن، **ذكرى أبي الفضل عياض اليحصبي**، مجلة المناهل المغربية، العدد 19، السنة 07، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، صفر 1401هـ/ديسمبر 1980، ص ص 57.

4- محمد الكتاني، المرجع السابق، ص 145.

5- نفسه، ص 140.

و دخل القاضي عياض ميدان التاريخ من باب الفقه و الحديث، فألف كتابه المعروف (رتيب المدارك و تقريب المسالك في أعلام مذهب الإمام مالك)، و هو النموذج الثالث و الذي يعد اكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي، و رواة الموطأ و علمائه، و قد استهل الكتاب ببيان فضل أهل المدينة، و دافع عن نظرية المالكية في الأخذ بعمل أهل المدينة، باعتبارها عندهم من أصول التشريع و حاول ترجيح مذهبه على سائر المذاهب، ثم شرع في الترجمة للإمام مالك و أصحابه و تلاميذه، و هو يعتمد في كتابه على نظام الطبقات دون اعتبار للترتيب الألفبائي، حيث أورد بعد ترجمة الإمام مالك، ترجمة أصحابه ثم أتباعهم طبقةً حتى وصل إلى شيوخه الذين عاصرهم، و تلقى على أيديهم، و ألتزم في طبقاته التوزيع الجغرافي لمن يترجم لهم، و خصّص لكل بلد عنواناً، يدرج تحته علماءه من المالكية فخصّص للمدينة و مصر و الشام و العراق عناوين خاصة بها و إن كان ملتزماً بنظام الطبقات، و أفرد لعلمائه و شيوخه الذين التقى بهم في رحلته كتابه المعروف باسم الغُنية ترجم لهم فيه، و تناول حياتهم و مؤلفاتهم، و مالهم من مكانة و منزلة و تأثير.

يقول القاضي عياض في مقدمة كتاب ترتيب المدارك:" و اقتضى النظر بين يدي الغرض تقديم مقدمات تمس الحاجة إليها و تتم الفائدة بالوقوف عليها، تشتمل على أبواب في ذكر المدينة و فضلها، و تقديم علمائها و أئمتها و وجوب الحجة بإجماع أهلها، و ترجيح مذهب مالك بن انس و تقصيت هذه الأبواب تقصياً يشفي الغليل، و أنعمتها نظراً يقف بالمنصف على سواء السبيل"[1].

و قد ذكر الحافظ القاضي عياض نبذاً مما ورد من الآثار في فضل المدينة، و دعاء النبي صلى الله عليه و سلم لها نورد منها على سبيل المثال لا الحصر، دعاؤه صلى الله عليه و سلم بالبركة في ثمار المدينة و صاعها و مدها مثلما دعا إبراهيم الخليل عليه الصلاة و السلام لمكة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:" اللهم بارك لنا في ثمارها، و بارك لنا في مدينتنا، و بارك لنا في صاعنا و مدنا، اللهم إن إبراهيم عبدك و خليلك و نبيك و اني عبدك و نبيك، وإنه دعاك لمكة و اني أدعوك للمدينة بمثل ما داعاك لمكة و مثله معه"[2]، و روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله علي و سلم قال:"فتحت المدائن بالسيف، و افتتحت المدينة بالقرآن" [3] .

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص 08.
2- نفسه، ج 01، ص 32.
3- نفسه، ج 01، ص 36.

و أورد القاضي عياض جملة من أقوال الصحابة و التابعين في فضل علم أهل المدينة، و ترجيحه على علم غيرهم و اقتداء بالسلف بهم نذكر منها قول زيد بن ثابت:"إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة"، و قول مالك:"كان ابن مسعود يُسأل بالعراق عن شيء فيقول فيه، ثم يقدم المدينة فيُسأل فيجد الأمر على غير ما قال، فإذا رجع لم يحط رحله، و لم يدخل بيته، حتى يرجع إلى ذلك الرجل فيخبره بذلك"[1].

و قال الشافعي:"إذا وجدتَ معتمداً من أهل المدينة على شيء فلا يكن في قلبك منه شيء" و كتب مالك بن انس إلى الليث بن سعد ينصحه بضرورة الأخذ بعلم أهل المدينة و عملهم بقوله:"إنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، و بها نزل القرآن، و أحل الحلال و حرم الحرام، اذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرهم يحضرون الوحي و التنزيل، و يأمرهم فيطيعونه و يسنّ لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله، و اختار له ما عنده، صلوات الله عليه و رحمته و بركاته، ثم قام من بعده اتْبع الناس له من أمته ممن ولّي الأمر من بعده، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون ذلك السبيل و يتبعون السنن[2].

و في ترجيح مذهب مالك، و الحجة في وجوب تقليد و تقديمه على غيره من الأئمة يقول القاضي عياض بعد ذكره مختلف المذاهب التي كانت سائدة في عصره في مختلف الأمصار، من مالكية و حنفية، و شافعية، و حنبلية و داودية و هم المعروفون بالظاهرية،" فحَق على طالب العلم، و مُريد تعرف الصواب و الحق أن يعرف أولاهم بالتقليد، ليعتمد على مذهبه، و يسلك في التفقه سبيله" و ها نحن نبين أن مالكاً، رحمه الله تعالى، و هو ذاك لجمعه أدوات الإمامة، و تحصيله درجة الاجتهاد و كونه أعلم القوم، بل أهل زمانه، و إصفاق أهل وقته على شهادتهم له بذلك و تقديمه، و هو القدوة، و الناس إذ ذاك ناس، و الزمان زمان، ثم للأثر الوارد في عالم المدينة التي هي داره، و انطلاق هذا الوصف و الإضافة على ألسنة الجماهير له[3].

و يورد القاضي عياض في التدليل على مكانة الإمام مالك بن أنس أقوال أئمة كبار ، يتقدمهم العالم الفقيه سفيان بن عيينة قوله لما بلغه وفاة مالك:"ما ترك على الأرض مثله"، و قول

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص ص 38-39.
2- نفسه، ج 01، ص ص 40-41.
3- نفسه، ج 01، ص 49.

الشافعي:"مالك أستاذي، و عنه أخذت العلم، و ما أحد أمَنّ علي من مالك، و جعلت مالكاً حجة بيني و بين الله، و إذا ذُكر العلماء فمالك النجم كما عرّج عياض رحمه الله على ذكر اقتداء السلف و أهل عصره من العلماء و سائر الناس به"[1].

و في تبوّء مالك بن أنس منصب الإمامة في علوم الشريعة و علم الكتاب و السنة، و انه أمير المؤمنين في الحديث يقول القاضي عياض: "و هو أول من ألف فأجاد التأليف، و رتب الكتب و الأبواب، و صنع من ذلك ما اتخذه المؤلفون بعده قدوة و إماماً إلى وقتنا هذا في أقطار الأرض" هذا مع صعوبة الابتداء، و حيرة الاختراع، و هو أول من تكلم في غريب الحديث و شرح في موطئه الكثير منه، و له في تفسير القرآن كلام كثير و قد جمع، و تفسير يرويه عنه بعض أصحابه، و قد جمع أبو محمد مكي مصنفاً فيما روي عنه من التفسير و الكلام في معاني القرآن و أحكامه مع تجويده له و إحسانه ضبط حروفه و قد ذكره أبو عمرو المقرئ في كتبه في طبقات القراء المتصدرين، و ذكر روايته عن نافع[2].

و بعد أن عقد القاضي عياض مقارنة بين مذهب الإمام مالك و غيره من المذاهب التي كانت سائدة في عصره، و تناولها بإسهاب تعليلاً و تحليلاً و ترجيحاً في مختلف الأحكام الفقهية سرد أخبار مالك رحمه الله، و سيره، و جملة تاريخه و خبره، فبدأ بذكر نسبه ثم تناول طبقات أصحابه و أعلام أهل مذهبه، و بّوب القاضي عياض في هذا السياق باباً تحت عنوان(باب في عقله و سمته و أدبه و حسن معاشرته و غير شيء من شمائله).

قال ابن مهدي:" لقيت أربعة مالكاً و سفيان و شعبة و ابن المبارك، فكان مالك أشدهم عقلاً، و قال: ما رأت عينايا أحدا أهيب من هيبة مالك، و لا أتم عقلاً، و لا أشد تقوى، و لا أوفر دماغاً من مالك". و قال هارون الرشيد عنه:"ما رأيت أعقل منه"، و قال ابن وهب :" الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه"، و قال ابن المبارك:" كان مالك أشد الناس مداراةً للناس و ترك ما لا يعنيه"، و قال أبو داود:"أصحّ حديث رسول الله صلى الله علي و سلم: مالك عن نافع عن ابن عمر، ثم مالك، عن الزهري عن سالم عن أبيه، ثم مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص 149.
2- نفسه، ج 01 ص ص 80-81.

هريرة"[1]، و في معرض حديثه عن الموطأ و تأليف مالك إياه يقول الإمام القاضي عياض ما يلي:"قال ابن مهدي: ما كتاب بعد كتاب الله أنفع للناس من الموطأ، و قال: لا أعلم من علم الناس بعد القرآن أصحّ من موطأ مالك، و قال الشافعي : ما كتب الناس بعد القرآن شيئاً هو انفع من موطأ مالك، و إذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو في الثريا[2].

و قد روي أن أبا جعفر المنصور قال لمالك: إني عزمت أن اكتب كتبك هذه نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار أن اكتب كتبك هذه نسخاً، آمرهم أن يعلوا بما فيها، و لا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة و علمهم، فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، و سمعوا أحاديث، و رووا روايات، و أخذ كل قوم بما سبق إليهم و عملوا به، و دانوا له من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و غيرهم و إن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس و ما هم عليه و ما اختار أهل كل بلد لأنفسهم فقال: لعمري لو طاوعتني على ذلك لأمرت به[3].

لقد قدم الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله، لأصحاب مالك من الفقهاء بقوله، و هذا حين ابتدئ بترتيب الطبقات المقصودة، على العهود المعهودة، و قد وجدنا أصحاب مالك من الفقهاء ثلاث طبقات:

أولاها: من كان له ظهور في العلم مدة حياته، و قاربت مدة وفاته.

و ثانيها : قوم بعد هؤلاء ممن عرف بطول ملازمته و صحبته و شهر بعده بتفقه عليه و روايته.

و ثالثها: و قوم صحبوه صغار الأسنان، و تأخر بهم بعده الزمان، فقاربوا أتباع أتباعه، و فضلوا بشرف مجالسته و مزية سماعه، فرتبهم القاضي عياض على هذا التطبيق، و جاء بمن بعدهم فريقاً بعد فريق[4]، فبدأ بالطبقة الأولى من أصحاب مالك، نقتصر على علمين من أهل المدينة:

01- المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي: نورد ومضات عن مكانته العلمية، و الثناء عليه، قال أبو عمر بن عبد البر:"كان مدار الفتوى في زمان مالك و بعده على المغيرة، و محمد بن دينار، حكى

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01، ص 127- 128.
2- نفسه، ج 02،ص 70
3- نفسه، ج 02 ص 72.
4- نفسه، ج 03، ص 01.

ذلك عبد المالك بن الماجشون و كان ابن ابي حازم ثالثهم في ذلك، و عثمان بن كنانة و ابن نافع"، و قال الواقدي:"كان المغيرة فقيه أهل المدينة بعد مالك"[1].

02- عبد العزيز بن ابي حازم: تفقه مع مالك، على ابن هرمز و كان من جلة أصحابه، قال عنه ابن الحارث:" كان إمام الناس في العلم بعد مالك ، خرج عنه البخاري ومسلم"، و قال مالك:"قوم فيهم ابن أبي حازم لا يصبهم العذاب" و قال:"ما يدفع عن المدينة إلا بابن أبي حازم"[2].

و ذكر القاضي عياض من أهل المشرق ثلة من أعلام هذه الطبقة و منهم :

01- عبد الله بن المبارك، و في سياق حديثه عن مكانته من العلم، و الثناء عليه يورد المؤلف أقوال كبار الأئمة و العلماء المعاصرين له، و الذين جاءوا من بعده نورد منها قول ابن مهدي:"لقيت أربعة من الفقهاء مالكاً، و شعبة، و سفيان، و ابن المبارك، فما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك و حديث لا يعرفه ابن المبارك، فنحن لا نعرفه"[3].

و ذكر القاضي عياض مجموعة من أصحاب مالك المصريين نورد منهم :

- عثمان بن الحكم :

قال عنه ابن شعبان:"هو أول من ادخل علم مالك مصر، وروي عنه ابن وهب كثيراً في موطئه، و في المدونة، توفي سنة ثلاث و ستين و مائة".

- عبد الرحيم بن خالد بن يزيد :

قال الدار قطني:"عبد الرحيم و عثمان بن الحكم، و أول من قدم مصر بمسائل مالك و قال الشيرازي:"كان من أقران ابن أبي حازم و نظرائه، و عنده تفقه ابن القاسم بمصر، قبل رحلته إلى مالك، و قد روى عن مالك الموطأ، و روى عنه الليث، و ابن وهب"[4].

و من أهل افريقية يذكر المؤلف القاضي عياض رحمه الله جملة من أئمتها و علمائها نورد منهم ما يلي:

- عبد الله بن غانم القاضي :

ذكره البخاري في التاريخ، و قال في الصحيح، حدثنا عبد الله بن عمر النميري، حدثنا يونس حديث الإفك في باب من شهد بدراً، و قال ابن منذرة:" عبد الله هذا هو ابن غانم الإفريقي، وروى

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص 02.
2- نفسه، ج 03، ص 09.
3- نفسه، ج 03 ص ص 36-37.
4- نفسه، ج 03، ص ص 52-54.

عنه القعنبي، و ابن القاسم"، رحل إلى الحجاز و الشام و العراق، فسمع من مالك و عليه اعتماده، و من سفيان الثوري و غيرهم من علماء عصره.

– علي بن زياد التونسي العبسي :

قال أبو العرب:"علي بن زياد من أهل تونس ، ثقة ، مأمون متعبد، بارع في الفقه، ممن يخشى الله تعالى من علوه في الفقه ، سمع من مالك ، و سفيان الثوري، و الليث بن سعد و سمع منه سحنون و أسد بن الفرات و غيرهما، و روى عن مالك الموطأ، و هو أول من أدخل الموطأ و جامع سفيان المغرب، و فسر لهم قول مالك و لم يكونوا يعرفونه، و كان قد دخل الحجاز و العراق في طلب العلم، و هو معلم سحنون الفقه، و قال سحنون:"ما أنجبت إفريقية مثل علي بن زياد"[1].

و بعدما تناول المؤلف الطبقة الأولى من أصحاب الإمام مالك رحمه الله، و التي أوردنا مقتطفات منها، انتقل إلى الحديث عن أعلام الطبقة الوسطى نذكر منها ما يلي :

من أهل المدينة:

– محمد بن مسلمة بن هشام:

روى محمد عن مالك، و تفقه عنده، قال أبو حاتم :"كان أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك، و كان أفقههم، و هو ثقة"، و قال الشيرازي:" جمع العلم و الورع"، و توفي سنة ست عشرة و مائتين[2].

– محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه:

و هو ممّن عداده في المكيين من أهل الحجاز، ولد بالشام بغزة، و قيل باليمن سنة خمسين و مائة، و حمل إلى مكة فسكنها، وتردّد بالحجاز و العراق و غيرهما ثم قدم مصر فاستوطنها، روى عن مالك و مسلم بن خالد و ابن عيينة و غيرهم، روى عنه أحمد بن حنبل، والحميدي، والمزني وغيرهم.

قال الشافعي: كنت و أنا في الكُتَّاب، مع المعلم يلقن الصبي فأحفظ ما يقول، و لكن لم يكن عند أمي ما تعطي المعلم، و كنت بينما، و كان العلم يرضى مني بأن اخلفه إذا قام، و لقد كانوا يكتبون، و قبل أن يفرغ المعلم من الإملاء حفظت جميع ذلك، و قال عنه أحمد بن حنبل:"ما أحد يحمل محبرة من أصحاب الحديث إلا و للشافعي عليه منّة"، و قال ابن حنبل عنه أيضاً:"كان

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 01 ص ص 65-80.

2- نفسه، ج 03، ص 131.

الشافعي أفقه الناس في كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم"، و قال أيضاً :"كان الشافعي كالشمس للدنيا، و العافية للناس، فانظر هل لهذين من عوض"، و قال يونس:"ما أخرجت الحجاز مثل الشافعي، قيل له كيف كان أخذكم عنه؟ قال قصرنا و عاجله الموت"، و قال الشافعي:"وددت أن الخلق يعلمون ما في كتبي و لا ينسبون إلي منها شيئاً"، و أخبار الشافعي كثيرة، و فضائلها مأثورة، و قال الربيع لمن سأله أن يحدثه بأخباره،"و لو ذهبت أحدثكم بأيام الشافعي ما أتيت عليه في سنة"[1].

1- القاضي عياض، المصدر السابق، ج 03، ص ص 174-175.

خـــاتمـــــة

لقد شهدت الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين ثلاثة عهود ، العهد الفاطمي و العهد الأيوبي و العهد المماليك، و قد تناولت الدراسة الوجود المالكي في الإسكندرية خلال القرنين الآنفي الذكر عبر العهود الثلاثة التي تعاقبت خلال هاته الفترة .

لقد نشا المذهب المالكي على يد الإمام مالك رحمه الله في المدينة المنورة في القرن الثاني الهجري حيث بنى أصوله رحمه الله على طريقة أهل المدينة ، والتي ورثها من شيوخه المدنيين ، و الذين اخذوا بدورهم عن فقهاء المدينة ، الذين كانوا يمثلون صفوة فقهاء الأمصار في ذلك الوقت ، و يتمثل منهج الإمام مالك في الاعتماد على القران الكريم ثم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسنة أهل المدينة، وقد شاع المذهب المالكي في مصر شيوعا كاملا قبل ان يفد إليها الشافعي، على يد تلامذة الإمام مالك، والذين يعتبرون اللبنة الأولى للمدرسة المصرية في حياة الإمام مالك.

وتعتبر المدرسة المالكية المصرية محور المدارس المالكية لأنها أخذت من جميع المدارس المالكية من جهة، و أخذت منها جميع المدارس،ومما ساعدها على ذلك ان روادها هم كبار تلامذة الإمام مالك الذين لازموه مدة طويلة من جهة،وحملوا لواء المذهب من بعده من جهة ثانية، و على رأسهم الإمام ابن القاسم، وقد عرفت الإسكندرية ازدهارا عمرانيا واقتصاديا خصوصا في العهدين الأيوبي و المملوكي، فأصبحت سوقا هامة للتجارة العالمية تتدفق إليها معظم منتجات الشرق و الغرب و قطبا اقتصاديا يربط بين المشرق الإسلامي و المغرب و أوربا، تجبى إليها ثمرات كل شيء.

أما الأوضاع العلمية فقد عرفت تقهقرا ملحوظا في العهد الفاطمي، بسبب الفكر الشيعي المتطرف المعادي للمذاهب السيئة، فأغلقت مدارس أهل السنة و اضطهد علمائها، و في كنف الرعاية و الاهتمام الذي أولاها الأيوبيين لحقل العلوم و المعارف عرفت الإسكندرية نهضة علمية رائدة في مختلف المجالات العلمية و الفكرية قوامها ثلة من علماء أجلاء كان لهم اثر عظيم في كافة فنون العلم والمعرفة، فشيدت المساجد، و أنشأت المدارس بمختلف مرافق الحياة الضرورية لأداء المهام المنوط بها و التكفل بالنازلين بها، وحورت العقول و أنيرت البصائر بأنواع الشريعة السمحاء و الاهتداء

بهدي المبعوث رحمة للعالمين عليه أفضل الصلاة و ازكى التسليم، و سار على نهجهم من بعدهم المماليك الذين كان عصرهم امتدادا لجهود أسلافهم السنيين مما يؤكد رسوخ الحركة العلمية و أصالتها، و ثبات المبادئ التي قامت عليها في عهد الدولتين.

و لقد اضطلعت المؤسسات العلمية المالكية في الإسكندرية خلال القرنين السادس والسابع الهجريين بدور رئيسي في نشر العلم وترسيخ المذهب المالكي، فكانت منارات إشعاع و توجيه و التي ذكرنا منها على سبيل المثال مسجد العطارين و مسجد ابي بكر الطرطوشي ، غير أن الجهود المعتبرة التي سجلها التاريخ في إنشاء المساجد فقد كانت في العهدين الأيوبي و المملوكي مثال ذلك مسجد الشيخ القباري و الذي عاصر دولتي الأيوبيين و المماليك.

و نظرا لعناية سلاطين المماليك بإنشاء المساجد فقد شهدت الإسكندرية في عهدهم بناء أعداد كبيرة من المساجد و أبدعوا في فن عمارتها كعربون إجلال و تقدير، لقلب الأمة النابض بالإيمان المشع بهدي المصطفى عليه أفضل السلام و ازكى السلام، و يأتي في طليعة هذه المساجد جامعان يعود تاريخ إنشائهما الى ما قبل العهد المملوكي و هما:الجامع الغربي و الجامع الشرقي و الثاني يطلق عليه جامع العطارين المشار إليه في العهد الفاطمي،الذي أعيدت إليه الخطبة في العهد الأيوبي، و مسجد سوق العجم، و مسجد أبي الدرداء و غيرها كثير، ورد ذكرها في كتب المؤرخين الذين اشرنا إليهم في سياق هذا البحث.

و أما المدارس النظامية، و التي تعد أهم المؤسسات التعليمية الحضارية الإسلامية، فقد ظهرت في العصر الفاطمي منها مدرستان هما المدرسة السلفية و المدرسة الحافظية (العوفية)، أما العهد الأيوبي فقد شهد نهضة رائدة في إنشاء المدارس كان لها الأثر البالغ في نشر العلوم و فنون المعرفة و إرساء دعائم مذهب أهل السنة و التي ذكرنا منها مدرسة ابن الأنجب و المدرسة الصاحبية و مدرسة بني حديد .

و نشير في هذه الومضات التاريخية للمدارس النظامية لعهد المماليك كان امتدادا لجهود الأيوبيين، و تعزيزا لدورها في حياة الأمة، فانتشرت المدارس في الإسكندرية المملوكية، و تنوعت فنون الدراسة بها، غير أن جل اهتمامهم كان مركزا على مدينة القاهرة،كونها عاصمة البلاد و حاضرتها و توجسا من الأعمال التخريبية التي كانت تستهدف الإسكندرية من قبل القبارصة الذين ما انفكوا يقومون بغارات خاطفة مفاجئة، و نشير إلى أن المماليك اهتموا بإقامة الأربطة و الزوايا كبيوت تؤدى فيها الطقوس الصوفية، و كانت تمون من قبل السلاطين و الأمراء وكبار التجار، كما ورد ذلك في رحلة ابن بطوطة، حيث تطرقنا إلى مجموعة من الأربطة أهمها رباط الواسطي و رباط السواري و رباط الهكاري.

و قد اتسم منهج علماء المالكية في التأليف بسمات كان أولها، الابتكار في التأليف فقد ألف علماء مالكية الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع الهجريين في مختلف الفنون العلمية و ثانيا دوافع التأليف كالتصويب و النقد و الرد على غير المسلمين و الشرح و التبسيط و المختصرات.

و لعلماء المالكية في الإسكندرية خلال هذه الفترة مصنفات كثيرة في علوم القران و الحديث و الفقه حيث كانت لهم مصنفات عدة في علوم الحديث و علوم القرآن و الفقه و أصوله و اللغة و الأدب و التاريخ و أصول الدين، و مما يمكن أن نخلص اليه من النتاج الفكري لعلماء المالكية في الإسكندرية ما يلي:

1-أن مشاركة علماء المالكية في التصنيف كانت قوية، يتجلى ذلك من خلال تنوع مجالات التأليف لبعضهم.

2-تنوع مجالات التأليف المشار إليها آنفا.

3- تميز بعض مؤلفاتهم بالشهرة التي تعدت حدود مصر، و تأثر بها حتى أصحاب المذاهب الأخرى من غير المالكية.

3-تميز بعض مؤلفاتهم بالشهرة التي بلغت الافاق،وتاثر غي المالكيين بها كالمختصر الفرعي لابن الحاجب كما يتبين من خلال مجالات التصنيف

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

– أولا: المصادر:

– الأزدي علي بن ظافر (ت613هـ/1216م)، **بدائع البدائه**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ/2007م.

– ابن أبي خلكان أحمد بن محمد (681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج 04، دار صادر، بيروت، 1972.

– ابن اسحاق خليل الجندي المالكي (ت 776هـ/1374م)، **التوضيح في شرح المختصر الفرعي لإبن الحاجب**، تح: أحمد بن عبد الكريم النجيب، مج 01، مركز نجيبويه للمخطوطات و خدمة التراث، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.

– ابن العماد الحنبلي (ت 1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، ج 02 و 05، دار بن كثير، بيروت، 1406هـ/ 1986.

– ابن اياس الحنفي(ت930هـ/1523م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،ج 01 و 03،تح: محمد مصطفى، ط01، (1383هـ/1963م)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

– ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (779هـ/1377م)، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407هـ – 1987.

– ابن الجزري محمد بن علي (ت 833هـ/1429م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تح: ج برجستراسر، ج 01، دار الكتب العلمية، بيروت، 1437هـ/2006م.

– ابن جبير محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614 هـ/1217م)، **رحلة بن جبير**، دار صادر، بيروت، (د ت).

– ابن حجر العسقلاني (852هـ/1448م)،**التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**،تح: أبو عاصم حسن بن عباس، ج 03، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1416هـ/1995.

– ـــــــــــــــ، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ط 02، 1392هـ – 1972م.

- ابن حزم الأندلسي القرطبي (ت456هـ/1083م)، **جمهرة انساب العرب**، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.

- ابن الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1070م)، **تاريخ مدينة السلام (بغداد)**، تح بشار عواد معروف، ج 08، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/2001م.

- ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/1405م)، **مقدمة بن خلدون**، تح: عبد الله محمد الدرويش، مج 01،دار يعرب، دمشق، 1425هـ/2004م.

- ابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت799هـ/1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، ج 02، دار التراث العربي، القاهرة، 1972.

- ابن شاكر احمد الكتبي (ت764هـ/1363)، **فوات الوفيات**،ج02،تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.

- ابن عبد الظاهر محي الدين(692هـ/1292م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تح: عبد العزيز الخويطر، (د م ن)، الرياض، 1396هـ – 1976.

- ابن القطان المراكشي (ت628هـ/1230م)، **جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط، تطوان.

- ابن منظور (ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، مج 03، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.

- ابن واصل جمال الدين (ت697هـ/1298م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: جمال الدين الشيال،ج1، دار القلم، القاهرة.

- أبو إسحاق الشيرازي (ت476هـ/1083م)، **طبقات الفقهاء**، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1970.

- أبو سعيد القيرواني البراذعي (372هـ/983م)، **التهذيب في اختصار المدونة**، تر: محمد أمين الشنقيطي، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، 1423هـ/2002م.

- ابو شامة عبد الرحمان المقدسي (ت665هـ/1266م)، **الروضتين في أخبار الدولتين**، ج 02، دار الجيل ،بيروت، (د ت).

- أبو العباس شهاب الدين أحمد القرافي (ت684هـ/1285م)، **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة**، تح: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، 1426هـ / 2005م.

- أبو العباس شهاب الدين أحمد القرافي، **الذخيـرة**، تر: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

- أبو القاسم بن بشكوال (ت578هـ/1183م)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدثيهم و فقهائهم و أدبائهم**، تح: بشار عواد معروف، مج 02، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010.

- أبو القاسم ابن الجلاب (ت348هـ/959م)، **التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس**، تح: سيد كسروي حسن، مج 01، دار الكتب، بيروت، 1428هـ/2007م.

- بدر الدين العيني محمود بن أحمد (855هـ/1451م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تح: هانس ارنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962.

- البكري أبو عبيد عبد الله عبد العزيز (ت 487هـ/1097م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب**، تح: دي سلان، الجزائر،1911.

- الحموي ياقوت (626هـ/1228م)، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح: إحسان عباس، ج 02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

- ـــــــــــ، **معجم البلدان**، ج 01، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1993.

- الدمشقي ابن ناصر الدين (842هـ/1438م)، **إتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك**، تح: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، المكتبة الإسلامية ، القاهرة، 1426هـ/ 2006م.

- الدلائي أحمد بن عمر بن أنس العذري (478هـ/1085م)، **ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان**، تح: عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965.

- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، ج 08، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/ 1993م.

- ـــــــــــــــــ، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، ج 19، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ/ 1993م.

- ـــــــــــــــــ، **تذكرة الحفاظ**، تح: عبد الرحمن بن يحى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1473هـ/1954م.

- ـــــــــــــــــ، **تاريخ الإسلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط 02، بيروت، 1404 هـ/1990م.

- السبكي تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ/1370م)، **معيد النعم و مبيد النقم**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1407هـ – 1986م.

- السخاوي شمس الدين (ت902هـ/1496م)، **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، ج01، تح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن الخضير و محمد بن عبد الله بن فهيد، دار المناهج، (د م).

- السيوطي جلال الدين (ت911هـ/1505م)، **حسن المحاظرة في أخبار مصر و القاهرة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 01، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1387هـ/1967م.

- ـــــــــــــــــ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د م ن)، 1384هـ/1964م.

- الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم ابن علي (ت476هـ/1083م)، **طبقات الفقهاء**، تح: إحسان عباس، دار الرائد العربي بيروت، 1970.

- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، ج 16، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

- الطرابلسي شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت 954هـ/1546م)، **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، ج 01، دار الرضوان، نواكشط، 1431هـ/2010م.

- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (ت647هـ/1250م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.

- عماد الدين الأصفهاني (ت597هـ/ 1200م)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تح: محمد محمود صبح، دار المنار، القاهرة 1965.

- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هـ/1149م)،**ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ج01، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، ط 02، المغرب، 1403هـ/1983.

- القرطبي ابن عبد البر بن عاصم النمري (463هـ/ 1071م)، **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ/ 1997م.

- القلقشندي أبو العباس أحمد (821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، ح 04، دار الكتب المصرية، 1340هـ – 1922م.

- كاتب مراكشي (ت القرن 06هـ)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

- مالك بن أنس (ت179هـ/795م)، **الموطأ**، تح: بن يحي الليثي الأندلسي، دار بن الجوزي، القاهرة، 1432هـ/2011م.

- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية**، تح: احمد مبارك البغدادي، ج 01، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989/1409م، ص 191.

- المقريزي تقي الدين (845هـ/1442م)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح: جمال الدين الشيال، ط 02، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (1416 هـ – 1996).

- _____، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمد عبد القادر عطا، ج01، دار الكتب العلمية، (1997م/1418هـ).

- _____، **المقفى الكبير**، ج 07، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

- _____، **إغاثة الأمة يكشف الغمة**، تح: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات، 1427هـ – 2007م.

- _____، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، ج 02، دار صادر، بيروت،(د ت).

- المنذري زكي الدين أبو محمد العظيم بن عبد القوي (ت656هـ/1258م)، **التكملة لوفيات النقلة**، تح: بشار عواد معروف، ج 01، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1984م.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 29، تح: نخبة من المؤرخين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1423هـ / 2002م.

- ثانيا: المراجع:

- أمين محمد، **الأوقاف و الحياة الاجتماعية في مصر** (648-923 هـ/ 1250-1517م)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980.
- أبو زهرة محمد، **مالك (حياته و عصره – أراؤه و فقهه)**، دار الفكر العربي، ط 02، القاهرة، 1947.
- أبو عاصم بشير ضيف بن أبي بكر، **مصادر الفقه المالكي أصولا و فروعا**، دار بن حزم، بيروت، 1429هـ/2008م.
- بروكلمان كارل، **تاريخ الأدب العربي**، تح: عبد الحليم النجار و رمضان عبد التواب، ج 05، دار المعارف، ط 05، القاهرة، 1977، ص 220.
- البغدادي إسماعيل باشا، **هدية العارفين أسماء المؤلفين و آثار المصنفين**، ج 01 و 05، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
- بوجلول منصور رابح، **المدخل إلى مذهب الإمام مالك**، دار النهضة، دمشق، 1426هـ/2005م.
- الثعالبي محمد بن الحسن الحجوي، **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، مج 04، مطبعة المعارف، الرباط، 1340هـ/ 1921م.
- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب و مصر و سوريا و بلاد العرب**، مكتبة النهضة العربية، ط 02، القاهرة، 1958.
- خليفة حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، تح: محمد شرف الدين يالتقايا، ج 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941.
- الدراج أحمد، **المماليك و الفرنج**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961.

- الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري، **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1424هـ/ 2003م.
- زيتون محمد، **القباري زاهد الإسكندرية**، دار المعارف، القاهرة، 1968.
- الزيلعي ابراهيم المختار، **المدخل الوجيز في اصطلاحات السادة المالكية**، تح: عبد الله توفيق الصباغ، (د م)، (د ت).
- سالم السيد عبد العزيز، **التاريخ و المؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1999.
- ـــــــــــــــ، **تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي**، دار المعارف، القاهرة، 1961.
- الشيال جمال الدين، **أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001.
- ـــــــــــــــ، **تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، 1922.
- عاشور سعيد عبد الفتاح، **مصر والشام في عهد الأيوبيين و المماليك**، ج 01، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، القاهرة، 2012.
- ـــــــــــــــ، **تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، ط 02، بيروت، 1424هـ – 2003م.
- ـــــــــــــــ، **العصر المملوكي في مصر و الشام**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.
- ـــــــــــــــ، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، 1992.
- عبد الوهاب حسن، **تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة**، ج 01، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1993.
- العريني السيد الباز، **الشرق الأوسط و الحروب الصليبية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.
- ـــــــــــــــ، **مصر في عصر الأيوبيين**، مطبعة الكيلاني، القاهرة، 1379هـ – 1960.
- علي محمد إبراهيم، **إصطلاح المذهب عند المالكية**، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، دبي، 1421هـ/ 2000م.
- ماهر محمد سعاد، **مساجد مصر و أولياؤها الصالحون**، ج 01، مطابع الأهرام، القاهرة.

- مجموعة من الباحثين، ندوة الإمام مالك، ج 02، مطبعة فضالة، فاس، 1400هـ/1980م.

- محمد المختار محمد المامي، **المذهب المالكي (مدارسه و مؤلفاته)**، مركز زايد للتراث و التاريخ، العين، 1422هـ/2002م.

- محمد بن عبد الوهاب، **مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1379هـ/ 1959م.

- مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، 1424هـ/2003م.

- الولاتي محمد يحي المختار، **إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك**، تح: مراد بوضاية، دار بن حزم، بيروت، 1427هـ/2006م.

- ثالثا: المجلات و الدوريات:

- ابراهيم الكيلاني و آخرون، **مصطلحات تاريخية في العصور الثلاثة (الأيوبي و المملوكي و العثماني)**، مجلة التراث العربي، العدد 49،السنة 13،إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ربيع الثاني 1413هـ/أكتوبر 1992م، ص ص 33-80.

- عائشة عبد الرحمن، **ذكرى أبي الفضل عياض اليحصبي**، مجلة المناهل المغربية، العدد 19، السنة 07، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، صفر 1401هـ/ديسمبر 1980، ص ص 57-154.

- الكتاني محمد، **أعلام من المغرب الإسلامي (القاضي عياض)**، مجلة الدارة، العدد 04، السنة 16، المملكة العربية السعودية،1411هـ، ص ص 130-162.

- مؤنس حسين ، **أثر ظهور الإسلام في الحياة السياسية و الإقتصادية في البحر المتوسط**، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، ماي 1951.

– رابعا: الرسائل الجامعية:

- بوعافية عبد القادر، **آراء الإمام بن أشهب في المعاوضات المالية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، 2013.

- الحسيني منذر حميدي، **مكتبات مصر و بلاد الشام في عصر المماليك (648–923 هـ)**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية جامعة الجنان، طرابلس لبنان، 1435 هـ /2014 م، ص 69.

- رمضان عبد الحميد صديق أمال ، **الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي**، مذكرة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، 1421هـ – 2001م.

- رمضاني فوزي، **دور المالكية في الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي (567–648هـ/1171–1250م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2010.

- نجلاء محمد عبد النبي، **العلاقات السياسية و الإقتصادية في عصر المماليك (مصر و البندقية)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 1405هـ – 1985م.

فهرس المحتويات

الموضـوع **الصفحة**

– مقدمة:

– الفصل التمهيدي:

المذهب المالكي في الإسكندرية قبيل القرنين السادس و السابع للهجرة

المبحث الأول: ترجمة الإمام مالك:.....07

أولا : نشأته و حياته: 07

– اسمه و نسبه و مولده :.....07

– حياته العلمية : 07

– شيوخه و تلامذته : 08

– بعض أقوال العلماء في الثناء عليه:.....10

– مؤلفاته و ما نسب إليه :.....11

– وفاتـــه :.....12

ثـانيـا : المذهب المالكي: 13

– نشأة المذهب المالكي و تطوره :.....13

المبحث الثاني: المدرسة المصرية: 14

أولا : إطلالة على المدرسة الحجازية: 14

– نـشـأتهـا:.....14

– مميزات المدرسة المالكية الحجازية: 16

– أشهر علمائها و مشائخها:.....18

ثـانـيـا: المدرسة المصرية: 18

– نـشـأتهـا: 19

– مميزات المدرسة المالكية المصرية:.....21

– أشهر علمائها و مشائخها: 23

– الفصل الأول:

أوضاع الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية: 26

01- في العهد الفاطمي : 26

02 – في العهد الأيوبي: 27

03 – في العهد المملوكي: 28

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية: 32

01- في العهد الفاطمي : 32

02 – في العهد الأيوبي: 33

03 – في العهد المملوكي: 35

المبحث الثالث: الأوضاع العلمية: 36

01- في العهد الفاطمي : 36

02 – في العهد الأيوبي: 38

03 – في العهد المملوكي: 40

– الفصل الثاني:

المؤسسات العلمية في الإسكندرية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة:

المبحث الأول: المساجد و الجوامع: 42

01- في العهد الفاطمي : 42

02 – في العهد الأيوبي: 44

03 – في العهد المملوكي: 47

المبحث الثاني: المدارس و المكتبات: 51

01- المدارس النظامية : 51

أ- في العهد الفاطمي : 53

بـ – في العهد الأيوبي: 56

جـ – في العهد المملوكي: 58
02- المكتبات : 59
أ- في العهد الفاطمي : 59
بـ – في العهد الأيوبي: 60
جـ – في العهد المملوكي: 60
المبحث الثالث: الأربطة و الزوايا: 62
01- الأربطة : 62
01- الزوايا : 62

– الفصل الثالث :

مصنفات علماء المالكية خلال القرنين السادس و السابع للهجرة:

المبحث الأول: منهج علماء المالكية في التأليف في الإسكندرية: 65
01- سمة الابتكار في التأليف: 65
02 – دوافع التأليف: 65
المبحث الثاني: مصنفات علماء المالكية في علوم القرآن والفقه و الحديث: 67
01- مصنفاتهم في علوم القرآن: 67
02- مصنفاتهم في علوم الحديث: 68
03- مصنفاتهم في الفقه و أصوله: 68
المبحث الثالث: مصنفات المالكية في اللغة و الأدب و التاريخ و أصول الدين: 70
01- مصنفاتهم في الأدب: 70
02- مصنفاتهم في التاريخ: 70
03- مصنفاتهم في أصول الدين: 71
04- مصنفاتهم في التصوف و الوعظ: 71
05- مصنفاتهم في موضوعات أخرى: 72
06- عرض تحليلي لنموذج من مصنفات المالكية: 72

- **خاتمة:** 83
- **المصادر و المراجع:** 88
- **فهرس المحتويات:** 98